المشاعر العلويّة

في آداب الحج المعنويّة

السيد أبو الحسن الموسوي الكاظمي

دار الحوراء

المَشَاعِرُ العَلَوِيَّةُ

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م

يطلب من مكتبة ودار المحجة البيضاء للطباعة و النشر و التوزيع

لبـــــــنان بيروت تـلـفاكـــس : ٠١/ ٢٧٦٩٥٦

المشاعر العلوية

في آداب الحج المعنوية

أبو الحسن الموسوي الكاظمي

دار الحوراء
للطباعة والنشر والتوزيع
لبنان - بيروت - هاتف ۲۳٦۹٥٦۰ / ۰۱

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اللّهمّ كُنْ لوليّكَ الحُجّةِ ابن الحَسَن
صَلواتُكَ عَليه وعَلى آبائِه في هذهِ
الساعَةِ وَفي كُلِّ ساعة ولياً وحافِظاً
وقائِداً وناصِراً ودَليلاً وعَيناً حتّى تسكنه
أرضَكَ طَوعاً وتُمَتعه فِيها طَويلاً بِرَحمتِكَ
يا أرحَمَ الراحمين

الإهداء

إلَيْكَ يَا مُشْعِرَ المَشَاعِرِ...

وَمِلاكَ حُرْمَةِ البَلَدِ الحَرَامِ...

إلَيْكَ يَا مُنَبِّتَ صَحْرَاءِ الجَزِيرَةِ ...

بِنَبْتِ الوَعِيِ وَالبَصِيرَةِ...

إلَيْكَ يَا سَيِّدَ السَادَاتِ...

وَنَامُوسَ المَوجُودَاتِ...

إلَيْكَ أَيُّهَا النُّورُ الأَوَّلُ...

الذي صَدَرَ فَأَصْدَرْ...

إلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ...

أُهْدِي هذِهِ الكَلِمَات ... لَعَلَّهَا تُقَرِّبُنِي إلَيْكَ...

صُورةً وَمَادَّةً ... وَقَلْبَاً وَقَالَبَاً...

لِتَطْمَئِنَّ نَفْسِيَ بِالرُّجُوعِ إلَيْكَ... ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾[١].

---

١ سورة البقرة: الآية ١٥٦.

المقَـدّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله المؤيِّد للسماع وحُسن الإتباع، وواهب العمر للسياحة في البقاع، الذي من لطفه شرّع الأحكام ومن قدرته وهب الإلتزام، فأسّس بنيان بيته العتيق وجعله مطافاً ومثابة ومقصداً للمُنتبه المفيق، وصار هو -تبارك وتعالى- المقصد بالأصالة وأهلُ بيته الهداة إليه من الضلالة، فعليهم أجمعين من أول الوجود إلى دوام المعبود صلاةً تنمي وتزيد، وسلاماً لا يفنى ولا يبيد.

أمّا بعد:

فأشكر الله تبارك وتعالى على توفيقه وإيهاب مدة أخرى من العمر بمنحه التوفيق لتسطير هذه المرقومة، بعد أنْ نذرتُ لله عز وجل أنْ أكتب في آداب الحج المعنوية إنْ رزقني الحج فكان كما أراد الله تبارك وتعالى، وقد تأكدت الإرادة من الله وتبعاً لها منّا، حينما تشرفنا بالمثول أمام كعبة القلوب وبدأ الأخوة الطلبة يطلبون منا ذكر بعض معنويات الحج، وبعد عودتنا زاد الطلب وجدّتْ الإرادة للكتابة، ولكن الإنشغال بالتحصيل والتدريس وإكمال ما بدأناه من بعض الكتب أخّرَنا عن الإيفاء بالنذر والاستجابة لطلب الطلبة، والآنْ أحمد ربي على زيادة التوفيق والعمر وأسالهُ المنَ والكرم ليعينني على الإتمام في خير وصلاح وعافية، داعياً ربي أنْ يشمل جميع المؤمنين بدعاء صاحب العصر روحي فداه وأنْ يشملنا بدعاء المؤمنين إنْ كنّا لذلك أهلاً، ولا أخال المؤمن أو الحاج يستغني عن ما هو مذكور في هذه المسطورة.

أيّدنا الله تعالى للخدمة وأيّد المؤمنين للإستخدام، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطاهرين.

أبو الحسن الموسوي الكاظمي

النجف الأشرف

المقصد الأول

وفيه فصلان

الفصل الأول
الحج عبادة

العبادات التي يمارسها الإنسان والتي تعتبر زاد مسيره إلى الحق لها وجهان: مُلكي وملكوتي.

الأول منهما: يهتمّ به الشرع الأقدس وهو ما يُعبّر عنه بالعبادة الصحيحة التي تعرف بأنّها تامة الأجزاء والشرائط، وتفصيلها معقودةٌ له الرسائل العملية.

والثاني: العبادة الملكوتية، وهي ما يعبرّ عنها بالعبادة المعنوية، فيهتم بها طالب الطريق الكادح فيه، المستمر في السير الذي يريد أنْ تكون عبادته مقبولة مقرِّبة بحقيقة القُرب، بحيث يصدق عليها القربان[1] والمعراج[2] فتَبينُ آثارُها كلّما أُقيمت، ويحِسّ العابد بقرب الحق شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى المطلوب، ويخرق بصره حجب النور وتصير روحه معلّقة بعزّ قدس الحق تبارك وتعالى.

وبحسب ما اطلعت أنَّ أفضل ما سُطّر في هذا المجال في حكمة الصلاة ومعنويتها هو آداب الصلاة وسر الصلاة والآداب المعنوية للصلاة للإمام الخميني قدس سره ونحن سائرون على خط الإمام على غرار ما فصّله قدس سره .

وهذه المرقومة المسماة (المشاعر العلوية) على منهج الآداب المعنوية للصلاة لإمامنا الخميني الراحل قدس سره ، وهي نعمة أخرى من نِعَمِ أمير المؤمنين عليه السلام .

وقد تسأل عن: ثبوت هذا الوجه الملكوتي المعنوي للعبادة كيف ومن أين يكون؟

والجواب: إنّه من المعلوم أنّ لكلِّ ما في عالم الدنيا باطناً، فهي[3] المنزل الأدنى لكل ما فوقها من عوالم، وقد ذكرنا تفصيل الصورة التكاملية في العوالم العليا في الفتوحات العلوية، وعلى أيّ حال فإنَّ الأحكام والقوانين الإلهية التي هي تفاصيل الدين ومصاديقه تحمل في ما ورائيتها أسرار وبواطن تُعدّ المعنى الواقعي للفظ الشرعي. وهو واضح للمتثبّت.

---

١ عن الإمام الرضا عليه السلام: ﴿ الصَّلاةُ قُرْبَانُ كُلِ تَقِيٍ ﴾.[الكافي ج٣ ص٢٦٥].

٢ عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: ﴿ الصَّلاةُ مِعْرَاجُ المُؤْمِنِ ﴾.[مصباح الشريعة/ ترجمة مصطفوي ص٥٤].

٣ أيْ: الدنيا.

ومن المعلوم أنَّ هذه العبادة التي نتكلم عنها توصف بالمقبولة، فالكثير لا يفرقّ بين العبادة الصحيحة والعبادة المقبولة التي هي المدار في التأثير، فالصلاة ليست بصلاة ما لم تنه عن الفحشاء والمنكر والصوم ليس بصوم ما لم يحبس الجوارح والجوانح عن مراكز البُعد، والحج ليس بحج ما لم يلتقي بمن قصد إليه.

وقد يُسأل عن الضابطة التي يُعرف بها قبول العبادة وعدمه؟.

والجواب: هو الإقبال، فإنْ كانت العبادة مع الإقبال والكون في حضرة الحق تبارك وتعالى كانت مقبولة، ومقدار القبول يكون بمقدار الإقبال، فعن النبي الأكرم ﷺ: ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يُلَفُّ كَمَا يُلَفُّ الثَّوْبُ الْخَلَقُ فَيُضْرَبُ بِهَا وَجْهُ صَاحِبِهَا، وَإِنَّمَا لَكَ مِنْ صَلاتِكَ مَا أَقْبَلْتَ عَلَيْهِ بِقَلْبِكَ ﴾[1]. وهذا الكلام جارٍ في جميع العبادات بعد إلغاء خصوصية الصلاة.

ولا نقصد بذلك إهمال الجانب الشرعي والصلاة الصحيحة، بل هي أصلٌ يتوقف إتيان الصلاة المقبولة عليها، قال أمير المؤمنين عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: ﴿ بُنِيَتِ الصَّلاةُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَسْهُمٍ، سَهْمٌ مِنْهَا إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ، وَسَهْمٌ مِنْهَا الرُكُوعُ، وَسَهْمٌ مِنْهَا السُّجُودُ، وَسَهْمٌ مِنْهَا الْخُشُوعُ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْخُشُوعُ؟ قال ﷺ: التَّوَاضُعُ فِي الصَّلاةِ؛ وَأَنْ يُقْبِلَ الْعَبْدُ بِقَلْبِهِ كُلِّهِ عَلَى رَبِّهِ، فَإِذَا هُوَ أَتَمَّ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا وَأَتَمَّ سِهَامَهَا صَعِدَتْ إِلَى السَّمَاءِ؛ لَهَا نُورٌ يَتَلألأ، وَفُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهَا، وَتَقُولُ: حَافَظْتَ عَلَيَّ حَفِظَكَ اللَّهُ، فَتَقُولُ الْمَلائِكَةُ: صَلَّى اللَّهُ عَلَى صَاحِبِ هَذِهِ الصَّلاةِ، وَإِذَا لَمْ يُتِمَّ سِهَامَهَا صَعِدَتْ وَلَهَا ظُلْمَةٌ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا، وَتَقُولُ: ضَيَّعْتَنِي ضَيَّعَكَ اللَّهُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ ﴾[2].

---

١ بحار الأنوار ج ٨١ ص٢٦٠.

٢ المصدر السابق ص ٢٦٤-٢٦٥.

علل وجوب الحج

ذكرت الرواياتُ عِللاً لوجوب الحج، منها:

١- إجتماع الشعوب الشرقية والغربية ومعرفة بعضهم البعض. قال تعالى: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾[1].

٢- التبادلات التجارية والمنافع الإقتصادية. قال تعالى: ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ ﴾[2].

٣- معرفة آثار وأخبار النبي وأهل البيت عليهم السلام، قال أمير المؤمنين عليه السلام: (ألا تَرَوْنَ أنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ اخْتَبَرَ الأوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ عليه السلام إلَى الآخِرِينَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ بِأَحْجَارٍ لا تَضُرُّ ولا تَنْفَعُ، ولا تُبْصِرُ ولا تَسْمَعُ، فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ، الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ لِلنَّاسِ قِيَاماً، ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بِقَاعِ الأرْضِ حَجَراً، وأَقَلِّ نَتَائِقِ الدُّنْيَا مَدَراً، وأَضْيَقِ بُطُونِ الأوْدِيَةِ قُطْراً، بَيْنَ جِبَالٍ خَشِنَةٍ، ورِمَالٍ دَمِثَةٍ، وعُيُونٍ وَشِلَةٍ، وقُرًى مُنْقَطِعَةٍ، لا يَزْكُو بِهَا خُفٌّ ولا حَافِرٌ ولا ظِلْفٌ، ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ عليه السلام وَوَلَدَهُ أَنْ يَثْنُوا أَعْطَافَهُمْ نَحْوَهُ، فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجَعِ أَسْفَارِهِمْ، وغَايَةً لِمُلْقَى رِحَالِهِمْ، تَهْوِي إلَيْهِ ثِمَارُ الأفْئِدَةِ مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَحِيقَةٍ، ومَهَاوِي فِجَاجٍ عَمِيقَةٍ، وجَزَائِرِ بِحَارٍ مُنْقَطِعَةٍ، حَتَّى يَهُزُّوا مَنَاكِبَهُمْ ذُلُلاً يُهَلِّلُونَ لِلَّهِ حَوْلَهُ، ويَرْمُلُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ شُعْثاً غُبْراً لَهُ، قَدْ نَبَذُوا السَّرَابِيلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وشَوَّهُوا بِإِعْفَاءِ الشُّعُورِ مَحَاسِنَ خَلْقِهِمْ، ابْتِلاءً عَظِيماً وامْتِحَاناً شَدِيداً؛ واخْتِبَاراً مُبِيناً وتَمْحِيصاً بَلِيغاً، جَعَلَهُ اللَّهُ سَبَباً لِرَحْمَتِهِ، ووُصْلَةً إلَى جَنَّتِهِ، ولَوْ أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ ومَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ بَيْنَ جَنَّاتٍ وأَنْهَارٍ؛ وسَهْلٍ وقَرَارٍ ،جَمَّ الأشْجَارِ دَانِيَ الثِّمَارِ، مُلْتَفَّ الْبُنَى مُتَّصِلَ الْقُرَى، بَيْنَ بُرَّةٍ سَمْرَاءَ ورَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، وأَرْيَافٍ مُحْدِقَةٍ وعِرَاصٍ مُغْدِقَةٍ، ورِيَاضٍ نَاضِرَةٍ، وطُرُقٍ عَامِرَةٍ، لَكَانَ قَدْ صَغُرَ قَدْرُ الْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ ضَعْفِ الْبَلاءِ، ولَوْ كَانَ الإسَاسُ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا، والأحْجَارُ الْمَرْفُوعُ بِهَا بَيْنَ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ، ويَاقُوتَةٍ

---

١ سورة المائدة: الآية ٩٧.

٢ سورة الحج: الآية ٢٨.

حمْرَاءَ، ونُورٍ وضِيَاءٍ، لَخَفَّفَ ذَلِكَ مُصَارَعَةَ الشَّكِّ فِي الصُّدُورِ، ولَوَضَعَ مُجَاهَدَةَ إِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ، ولَنَفَى مُعْتَلَجَ الرَّيْبِ مِنَ النَّاسِ، ولَكِنَّ اللَّهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ، ويَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ، ويَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ، إِخْرَاجاً لِلتَّكَبُّرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وإِسْكَاناً لِلتَّذَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ، ولِيَجْعَلَ ذَلِكَ أَبْوَاباً فُتُحاً إِلَى فَضْلِهِ، وأَسْبَاباً ذُلُلاً لِعَفْوِهِ ﴾[1].

٤- التوبة والرجوع إلى الله تعالى.

٥- طلب الخيرات وغفران الذنوب.

٦- صرف الأموال وخرجها.

٧- تعويد البدن على الصعوبات.

٨- منع الجسد عن اتخاذ شهواته ولذاته.

٩- طول العمر والصحة، عن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿ مَا مِنْ سَفَرٍ أَبْلَغَ فِي لَحْمٍ وَلا دَمٍ، وَلا جِلْدٍ وَلا شَعْرٍ، مِنْ سَفَرِ مَكَّةَ، وَمَا أَحَدٌ يَبْلُغُهُ حَتَّى تَنَالَهُ الْمَشَقَّةُ ﴾[2]. وعن سيد الساجدين عليه السلام: ﴿ حُجُّوا وَاعْتَمِرُوا تَصِحَ أَبْدَانُكُم ﴾[3].

إلى غير ذلك من العِلَل.

يقول الإمام الخميني قدس سره: ﴿إنَّ الحج كان قد شُرِّع لأجل اقتراب الإنسان وارتباطه بصاحب البيت، ولم يكن الحج مجرد مجموعة من الحركات والأعمال والألفاظ.

إنَّ الإنسان لا يصل إلى الله بالكلام والألفاظ والحركات الميتة.

إنَّ الحج مركز للمعارف الإلهية، ويجب أنْ نستلهم منه مضامين السياسة الإسلامية في مختلف مناحي الحياة﴾[4].

---

١ نهج البلاغة: الخطبة ١٩٢.

٢ الكافي ج٤ ص٢٦٢.

٣ المصدر السابق ص٢٥٢.

٤ الحج مؤتمر عبادي سياسي ج٢.

إدمان الحجّ

وردت مسألة إدمان الحج في الروايات، والمقصود من الإدمان -بصورة عامة- هو التعويد على فعل الشيء.

وإدمان الحج يعني الإدمان على فعل الحج لعشقه والتعلّق به، وضابطة مدمن الحج ذكرتها الروايات فعن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿مَنْ حَجَ سَنَةً؛ وَسَنَةً لا، فَهُوَ مِمَّنْ أَدْمَنَ الْحَجَّ﴾[١].

وبناءً على هذه الرواية يصدق الإدمان إذا كان الحج معاومةً، أيْ سنة يحج وسنة يترك. ويصدق إدمان الحج أيضاً على من حجّ ثلاث حجج متوالية، قال الإمام الصادق عليه السلام: ﴿وَمَنْ حَجَ ثَلاثَ حِجَجٍ مُتَوَالِيَةٍ ثُمَّ حَجَّ أَوْ لَمْ يَحُجَّ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ مُدْمِنِ الْحَجِّ﴾[٢].

قد يقال: إنَّ الحج يجب في العمر مرة واحدة، فلماذا هذه الإشارات في النصوص الشرعية على تكرار الحج والدعوة إلى إدمان الحج؟.

وجوابه: بعدما عرفت من فوائد وعلل وبركات الحج وما ستعرفه من تفاصيل عباديته وأنَّه توجه إلى الحق تبارك وتعالى؛ لذا ترى الروايات تركز على هذا الجانب وتهتم بأنْ يكون العبد في الحرم الإلهي باستمرار.

وفي خطاب الإمام الصادق عليه السلام لعيسى بن منصور: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي أُحِبُ أَنْ يَرَاكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيمَا بَيْنَ الْحَجِّ إِلَى الْحَجِّ وَأَنْتَ تَتَهَيَّأُ لِلْحَجِّ﴾[٣]، وبالإضافة إلى هذه الأبعاد المعنوية له آثار في الدنيا والاخرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿لا يُحَالِفُ الْفَقْرُ وَالْحُمَّى مُدْمِنَ الْحَجِ وَالْعُمْرَةِ﴾[٤]، وعنه صلى الله عليه وآله: ﴿تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ

---

١ من لا يحضره الفقيه ج٢ ص٢١٨

٢ المصدر السابق ص٢١٦.

٣ الكافي ج٤ ص٢٨١.

٤ المصدر السابق ص٢٥٤.

الْحَدِيدِ ﴾[١]، وعن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿ وَعَلَيْكُمْ بِحَجِّ هَذَا الْبَيْتِ فَأَدْمِنُوهُ، فَإِنَّ فِي إِدْمَانِكُمُ الْحَجَّ دَفْعَ مَكَارِهِ الدُّنْيَا عَنْكُمْ، وَأَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾[٢].

ضيافة الرحمن

عُبِّر عن الحج بـ (ضيافة الرحمن)، والضيافة تعني: النزول في حرم المُضَيِّف وفنائه لرؤية كرمه والتماس قِراه. وقد أُضيفت الضيافة إلى إسمه تعالى الرحمن دون غيره من الأسماء باعتبار أنَّ إسمه تعالى الرحمن يتصف بالرحمة الشمولية العامة للعوام والخواص الوافدين إلى الفناء المقدس، وفي الحديث القدسي: ﴿ أَنَا اللَّهُ ذُو بَكَّةَ، أَهْلُهَا جِيرَتِي، وَزُوَّارُهَا وَفْدِي وَأَضْيَافِي، أَعْمُرُهُ بِأَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ الأَرْضِ، يَأْتُونَهُ أَفْوَاجاً، شُعْثاً غُبْراً، يَعِجُّونَ بِالتَّكْبِيرِ وَالتَّلْبِيَةِ، فَمَنِ اعْتَمَرَهُ لا يُرِيدُ غَيْرَهُ؛ فَقَدْ زَارَنِي وَهُوَ وَفْدٌ لِي وَنَزَلَ بِي، وَحَقٌّ لِي أَنْ أُتْحِفَهُ بِكَرَامَاتِي ﴾[٣]. وضيف الرحمن الذي تغمره الرحمة الرحمانية يأخذ كل ما يريد بما فيه رضا الله ومصلحة الضيف ولا أقل المغفرة إذ أنَّ رضا الله عز وجل متعلق بها والضيف أحوج ما يكون لها، قال أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿ الْحَاجُّ وَالْمُعْتَمِرُ وَفْدُ اللَّهِ، وَحَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكْرِمَ وَفْدَهُ وَيَحْبُوَهُ بِالْمَغْفِرَةِ ﴾[٤] وعنه عليه السلام: ﴿ لأَنَّ الْقَوْمَ زُوَّارُ اللَّهِ وَهُمْ فِي ضِيَافَتِهِ، وَلا يَجْمُلُ بِمُضِيفٍ أَنْ يُصَوِّمَ أَضْيَافَهُ ﴾[٥].

والخلاصة:

إنَّ تأسيس البيت الحرام وجعلَه مطافاً للناس ومثابة لأجل أنْ يولد فيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ويطوف الناس حول محل ولادة أمير المؤمنين عليه السلام فيذكروه على الدوام خصوصاً وهم في حرم الله تبارك وتعالى.

---

١ المصدر السابق ص٢٥٥.

٢ الأمالي (للطوسي) ص٦٦٨.

٣ الخرائج والجرائح ج١ ص٨٠

٤ تحف العقول ص١٢٣.

٥ الكافي ج٤ ص٢٢٤.

ولقد أجاد الإصطهباناتي قدس سره**:**

ايــن خانــه را بايــد خــدا در عــرش معمــارى كنــد
آدم بنــايش بــر نهــد جبريــل هــم يــارى كنــد
آيــد خليــل الله در او يــك چنــد حجــارى كنــد
اورا اولــوا العزمــى دگــر منقــوش و گچكــارى كنــد
اينســان خــدا از خانــه اش چنــدى پرســتارى كنــد
تــا ســاعتى از دوســتى يــك ميهمانــدارى كنــد

يعني:

إنّ هــذا البيــت قــد هندســه الله فــي عرشــه
إنّ آدم هــو الــذي كــان يبنيــه وجبريــل يســاعده
يــأتي خليــل الله لفتــرة يصــفُّ أحجارهــا
ونبــي آخــر مــن أولــي العــزم ينقشــها ويجصّصــها
وبهــذا الشــكل يحــافظ علــى بيتــه لفتــرة معينــة
لكــي يســتقبل ضــيفاً لمــدة ســاعة

إشارة وتأسيس:

وعلى أيٍّ حال تتجلى ملكوتية الحج وباطنه وأسراره في ما ورد عن معدن العصمة والطهارة وأرباب المُلك والملكوت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. **والعمدة في المقام والذي يدور حوله الكلام هو رواية الشبلي التي سنؤسس عليها أغلب المباحث المرتبطة بالأعمال الشرعية من الرسالة العملية.**

ورواية الشبلي وإنْ لم تكن مشهورة في الجوامع المعوّل عليها إلا أنّها من الروايات الأخلاقية التي لا يُدقق في سندها، وقد انفرد بروايتها في المستدرك مرسلة: الْعَالِمُ الْجَلِيلُ الأوَّاهُ السَّيِّدُ عَبْدُ اللَّهِ سِبْطُ الْمُحَدِّثِ الْجَزَائِرِيِّ فِي شَرْحِ النُّخْبَةِ، قال: وَجَدْتُ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ أُوَثِّقُهَا بِخَطٍّ

بَعْضِ الْمَشَايِخِ الَّذِينَ عَاصَرْنَاهُمْ مُرْسَلاً: أَنَّهُ لَمَّا رَجَعَ مَوْلانَا زَيْنُ الْعَابِدِينَ عليه السلام مِنَ الْحَجِّ اسْتَقْبَلَهُ الشِّبْلِيُّ فَقال عليه السلام لَهُ: ﴿حَجَجْتَ يَا شِبْلِيُّ؟ قال: نَعَمْ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ. فَقال عليه السلام: أَنَزَلْتَ الْمِيقَاتَ وتَجَرَّدْتَ عَنْ مَخِيطِ الثِّيَابِ واغْتَسَلْتَ؟ قال: نَعَمْ. قال: فَحِينَ نَزَلْتَ الْمِيقَاتَ نَوَيْتَ أَنَّكَ خَلَعْتَ ثَوْبَ الْمَعْصِيَةِ ولَبِسْتَ ثَوْبَ الطَّاعَةِ؟ قال: لا. قال: فَحِينَ تَجَرَّدْتَ عَنْ مَخِيطِ ثِيَابِكَ نَوَيْتَ أَنَّكَ تَجَرَّدْتَ مِنَ الرِّيَاءِ والنِّفَاقِ والدُّخُولِ فِي الشُّبُهَاتِ؟ قال: لا. قال: فَحِينَ اغْتَسَلْتَ نَوَيْتَ أَنَّكَ اغْتَسَلْتَ مِنَ الْخَطَايَا والذُّنُوبِ؟ قال: لا. قال: فَمَا نَزَلْتَ الْمِيقَاتَ، ولا تَجَرَّدْتَ عَنْ مَخِيطِ الثِّيَابِ، ولا اغْتَسَلْتَ. ثُمَّ قال: تَنَظَّفْتَ وأَحْرَمْتَ وعَقَدْتَ بِالْحَجِّ؟ قال: نَعَمْ. قال: فَحِينَ تَنَظَّفْتَ وأَحْرَمْتَ وعَقَدْتَ الْحَجَّ نَوَيْتَ أَنَّكَ تَنَظَّفْتَ بِنُورَةِ التَّوْبَةِ الْخَالِصَةِ لِلَّهِ تَعَالَى؟ قال: لا. قال: فَحِينَ أَحْرَمْتَ نَوَيْتَ أَنَّكَ حَرَّمْتَ عَلَى نَفْسِكَ كُلَّ مُحَرَّمٍ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ؟ قال: لا. قال: فَحِينَ عَقَدْتَ الْحَجَّ نَوَيْتَ أَنَّكَ قَدْ حَلَلْتَ كُلَّ عَقْدٍ لِغَيْرِ اللَّهِ؟ قال: لا. قال لَهُ عليه السلام: مَا تَنَظَّفْتَ، ولا أَحْرَمْتَ، ولا عَقَدْتَ الْحَجَّ. قال لَهُ: أَدَخَلْتَ الْمِيقَاتَ وصَلَّيْتَ رَكْعَتَي الإِحْرَامِ ولَبَّيْتَ؟ قال: نَعَمْ. قال: فَحِينَ دَخَلْتَ الْمِيقَاتَ نَوَيْتَ أَنَّكَ بِنِيَّةِ الزِّيَارَةِ؟ قال: لا. قال: فَحِينَ صَلَّيْتَ الرَّكْعَتَيْنِ نَوَيْتَ أَنَّكَ تَقَرَّبْتَ إِلَى اللَّهِ بِخَيْرِ الأَعْمَالِ مِنَ الصَّلاةِ وأَكْبَرِ حَسَنَاتِ الْعِبَادِ؟ قال: لا. قال: فَحِينَ لَبَّيْتَ نَوَيْتَ أَنَّكَ نَطَقْتَ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ بِكُلِّ طَاعَةٍ وصُمْتَ عَنْ كُلِّ مَعْصِيَةٍ؟ قال: لا. قال لَهُ عليه السلام: مَا دَخَلْتَ الْمِيقَاتَ، ولا صَلَّيْتَ، ولا لَبَّيْتَ. ثُمَّ قال لَهُ: أَدَخَلْتَ الْحَرَمَ ورَأَيْتَ الْكَعْبَةَ وصَلَّيْتَ؟ قال: نَعَمْ. قال: فَحِينَ دَخَلْتَ الْحَرَمَ نَوَيْتَ أَنَّكَ حَرَّمْتَ عَلَى نَفْسِكَ كُلَّ غِيبَةٍ تَسْتَغِيبُهَا الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ مِلَّةِ الإِسْلامِ؟ قال: لا. قال: فَحِينَ وَصَلْتَ مَكَّةَ نَوَيْتَ بِقَلْبِكَ أَنَّكَ قَصَدْتَ اللَّهَ؟ قال: لا. قال عليه السلام: فَمَا دَخَلْتَ الْحَرَمَ، ولا رَأَيْتَ الْكَعْبَةَ، ولا صَلَّيْتَ. ثُمَّ قال: طُفْتَ بِالْبَيْتِ ومَسِسْتَ الأَرْكَانَ وسَعَيْتَ؟ قال: نَعَمْ. قال عليه السلام: فَحِينَ سَعَيْتَ نَوَيْتَ أَنَّكَ هَرَبْتَ إِلَى اللَّهِ وعَرَفَ مِنْكَ ذَلِكَ عَلامُ الْغُيُوبِ؟ قال: لا. قال: فَمَا طُفْتَ بِالْبَيْتِ، ولا مَسِسْتَ الأَرْكَانَ، ولا سَعَيْتَ. ثُمَّ قال لَهُ: صَافَحْتَ الْحَجَرَ ووَقَفْتَ بِمَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام وصَلَّيْتَ بِهِ رَكْعَتَيْنِ؟ قال: نَعَمْ. فَصَاحَ عليه السلام صَيْحَةً كَادَ يُفَارِقُ الدُّنْيَا. ثُمَّ قال: آهِ آهِ. ثُمَّ قال عليه السلام: مَنْ صَافَحَ

الْحَجَرَ الأَسْوَدَ فَقَدْ صَافَحَ اللَّهَ تَعَالَى، فَانْظُرْ يَا مِسْكِينُ لا تُضَيِّعْ أَجْرَ مَا عَظُمَ حُرْمَتُهُ وتَنْقُضِ الْمُصَافَحَةَ بِالْمُخَالَفَةِ وقَبْضِ الْحَرَامِ نَظِيرَ أَهْلِ الآثَامِ. ثُمَّ قال عليه السلام: نَوَيْتَ حِينَ وَقَفْتَ عِنْدَ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام أَنَّكَ وَقَفْتَ عَلَى كُلِّ طَاعَةٍ وتَخَلَّفْتَ عَنْ كُلِّ مَعْصِيَةٍ؟ قال: لا. قال: فَحِينَ صَلَّيْتَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ نَوَيْتَ أَنَّكَ صَلَّيْتَ بِصَلاةِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام وأَرْغَمْتَ بِصَلاتِكَ أَنْفَ الشَّيْطَانِ؟ قال: لا. قال لَهُ: فَمَا صَافَحْتَ الْحَجَرَ الأَسْوَدَ، ولا وَقَفْتَ عِنْدَ الْمَقَامِ، ولا صَلَّيْتَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ. ثُمَّ قال عليه السلام لَهُ: أَشْرَفْتَ عَلَى بِئْرِ زَمْزَمَ وشَرِبْتَ مِنْ مَائِهَا؟ قال: نَعَمْ. قال: نَوَيْتَ أَنَّكَ أَشْرَفْتَ عَلَى الطَّاعَةِ وغَضَضْتَ طَرْفَكَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ؟ قال: لا. قال عليه السلام: فَمَا أَشْرَفْتَ عَلَيْهَا ولا شَرِبْتَ مِنْ مَائِهَا. ثُمَّ قال لَهُ عليه السلام: أَسَعَيْتَ بَيْنَ الصَّفَا والْمَرْوَةِ ومَشَيْتَ وتَرَدَّدْتَ بَيْنَهُمَا؟ قال: نَعَمْ. قال لَهُ: نَوَيْتَ أَنَّكَ بَيْنَ الرَّجَاءِ والْخَوْفِ؟ قال: لا. قال: فَمَا سَعَيْتَ ولا مَشَيْتَ، ولا تَرَدَّدْتَ بَيْنَ الصَّفَا والْمَرْوَةِ. ثُمَّ قال: أَخَرَجْتَ إِلَى مِنًى؟ قال: نَعَمْ. قال: نَوَيْتَ أَنَّكَ آمَنْتَ النَّاسَ مِنْ لِسَانِكَ وقَلْبِكَ ويَدِكَ؟ قال: لا. قال: فَمَا خَرَجْتَ إِلَى مِنًى. ثُمَّ قال لَهُ: أَوَقَفْتَ الْوَقْفَةَ بِعَرَفَةَ وطَلَعْتَ جَبَلَ الرَّحْمَةِ وعَرَفْتَ وَادِيَ نَمِرَةَ ودَعَوْتَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ عِنْدَ الْمِيلِ والْجَمَرَاتِ؟ قال: نَعَمْ. قال: هَلْ عَرَفْتَ بِمَوْقِفِكَ بِعَرَفَةَ مَعْرِفَةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَمْرَ الْمَعَارِفِ والْعُلُومِ، وعَرَفْتَ قَبْضَ اللَّهِ عَلَى صَحِيفَتِكَ واطِّلاعَهُ عَلَى سَرِيرَتِكَ وقَلْبِكَ؟ قال: لا. قال: نَوَيْتَ بِطُلُوعِكَ جَبَلَ الرَّحْمَةِ أَنَّ اللَّهَ يَرْحَمُ كُلَّ مُؤْمِنٍ ومُؤْمِنَةٍ، ويَتَوَلَّى كُلَّ مُسْلِمٍ ومُسْلِمَةٍ؟ قال: لا. قال: فَنَوَيْتَ عِنْدَ نَمِرَةَ أَنَّكَ لا تَأْمُرُ حَتَّى تَأْتَمِرَ ولا تَزْجُرُ حَتَّى تَنْزَجِرَ؟ قال: لا. قال: فَعِنْدَمَا وَقَفْتَ عِنْدَ الْعَلَمِ والنَّمِرَاتِ؛ نَوَيْتَ أَنَّهَا شَاهِدَةٌ لَكَ عَلَى الطَّاعَاتِ، حَافِظَةٌ لَكَ مَعَ الْحَفَظَةِ بِأَمْرِ رَبِّ السَّمَاوَاتِ؟ قال: لا. قال: فَمَا وَقَفْتَ بِعَرَفَةَ، ولا طَلَعْتَ جَبَلَ الرَّحْمَةِ، ولا عَرَفْتَ نَمِرَةَ، ولا دَعَوْتَ، ولا وَقَفْتَ عِنْدَ النَّمِرَاتِ. ثُمَّ قال: مَرَرْتَ بَيْنَ الْعَلَمَيْنِ، وصَلَّيْتَ قَبْلَ مُرُورِكَ رَكْعَتَيْنِ، ومَشَيْتَ بِمُزْدَلِفَةَ، ولَقَطْتَ فِيهَا الْحَصَى، ومَرَرْتَ بِالْمَشْعَرِ الْحَرَامِ؟ قال: نَعَمْ. قال: فَحِينَ صَلَّيْتَ رَكْعَتَيْنِ نَوَيْتَ أَنَّهَا صَلاةُ شُكْرٍ فِي لَيْلَةِ عَشْرٍ تَنْفِي كُلَّ عُسْرٍ وتُيَسِّرُ كُلَّ يُسْرٍ؟ قال: لا. قال: فَعِنْدَمَا مَشَيْتَ بَيْنَ الْعَلَمَيْنِ ولَمْ تَعْدِلْ عَنْهُمَا يَمِيناً وشِمَالاً نَوَيْتَ أَنْ لا تَعْدِلَ عَنْ دِينِ الْحَقِّ يَمِيناً وشِمَالاً؛ لا بِقَلْبِكَ ولا بِلِسَانِكَ ولا بِجَوَارِحِكَ؟ قال: لا.

قال: فعِنْدَمَا مَشَيْتَ بِمُزْدَلِفَةَ ولَقَطْتَ مِنْهَا الْحَصَى؛ نَوَيْتَ أَنَّكَ رَفَعْتَ عَنْكَ كُلَّ مَعْصِيَةٍ وجَهْلٍ وتَبَّتَ كُلَّ عِلْمٍ وعَمَلٍ؟ قال: لا. قال: فَعِنْدَمَا مَرَرْتَ بِالْمَشْعَرِ الْحَرَامِ؛ نَوَيْتَ أَنَّكَ أَشْعَرْتَ قَلْبَكَ إِشْعَارَ أَهْلِ التَّقْوَى والْخَوْفَ لِلَّهِ عَزَّ وجَلَّ؟ قال: لا. قال: فَمَا مَرَرْتَ بِالْعَلَمَيْنِ، ولا صَلَّيْتَ رَكْعَتَيْنِ، ولا مَشَيْتَ بِالْمُزْدَلِفَةِ، ولا رَفَعْتَ مِنْهَا الْحَصَى، ولا مَرَرْتَ بِالْمَشْعَرِ الْحَرَامِ. ثُمَّ قال لَهُ: وَصَلْتَ مِنًى ورَمَيْتَ الْجَمْرَةَ، وحَلَقْتَ رَأْسَكَ، وذَبَحْتَ هَدْيَكَ، وصَلَّيْتَ فِي مَسْجِدِ الْخَيْفِ، ورَجَعْتَ إِلَى مَكَّةَ، وطُفْتَ طَوَافَ الإفَاضَةِ؟ قال: نَعَمْ. قال: فَنَوَيْتَ عِنْدَمَا وَصَلْتَ مِنًى ورَمَيْتَ الْجِمَارَ أَنَّكَ بَلَغْتَ إِلَى مَطْلَبِكَ وقَدْ قَضَى رَبُّكَ لَكَ كُلَّ حَاجَتِكَ؟ قال: لا. قال: فَعِنْدَمَا رَمَيْتَ الْجِمَارَ نَوَيْتَ أَنَّكَ رَمَيْتَ عَدُوَّكَ إِبْلِيسَ وغَضِبْتَهُ بِتَمَامِ حَجِّكَ النَّفِيسِ؟ قال: لا. قال: فَعِنْدَمَا حَلَقْتَ رَأْسَكَ نَوَيْتَ أَنَّكَ تَطَهَّرْتَ مِنَ الأدْنَاسِ ومِنْ تَبِعَةِ بَنِي آدَمَ وخَرَجْتَ مِنَ الذُّنُوبِ كَمَا وَلَدَتْكَ أُمُّكَ؟ قال: لا. قال: فَعِنْدَمَا صَلَّيْتَ فِي مَسْجِدِ الْخَيْفِ نَوَيْتَ أَنَّكَ لا تَخَافُ إلا اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ وذَنْبَكَ، ولا تَرْجُو إلا رَحْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى؟ قال: لا. قال: فَعِنْدَمَا ذَبَحْتَ هَدْيَكَ؛ نَوَيْتَ أَنَّكَ ذَبَحْتَ حَنْجَرَةَ الطَّمَعِ بِمَا تَمَسَّكْتَ بِهِ مِنْ حَقِيقَةِ الْوَرَعِ، وأَنَّكَ اتَّبَعْتَ سُنَّةَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام بِذَبْحِ وَلَدِهِ وثَمَرَةِ فُؤَادِهِ ورَيْحَانِ قَلْبِهِ، وحَاجَّهُ سُنَّتُهُ لِمَنْ بَعْدَهُ وقَرَّبَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لِمَنْ خَلْفَهُ؟ قال: لا. قال: فَعِنْدَمَا رَجَعْتَ إِلَى مَكَّةَ وطُفْتَ طَوَافَ الإفَاضَةِ؛ نَوَيْتَ أَنَّكَ أَفَضْتَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى ورَجَعْتَ إِلَى طَاعَتِهِ، وتَمَسَّكْتَ بِوُدِّهِ وأَدَّيْتَ فَرَائِضَهُ وتَقَرَّبْتَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؟ قال: لا. قال لَهُ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عليه السلام: فَمَا وَصَلْتَ مِنًى، ولا رَمَيْتَ الْجِمَارَ، ولا حَلَقْتَ رَأْسَكَ، ولا أَدَّيْتَ نُسُكَكَ، ولا صَلَّيْتَ فِي مَسْجِدِ الْخَيْفِ، ولا طُفْتَ طَوَافَ الإفَاضَةِ، ولا تَقَرَّبْتَ، ارْجِعْ فَإِنَّكَ لَمْ تَحُجَّ. فَطَفِقَ الشِّبْلِيُّ يَبْكِي عَلَى مَا فَرَّطَهُ فِي حَجِّهِ: ومَا زَالَ يَتَعَلَّمُ حَتَّى حَجَّ مِنْ قَابِلٍ بِمَعْرِفَةٍ ويَقِينٍ﴾[١].

---

١ مستدرك الوسائل ج ١٠ ص ١٦٦ ـ ١٧٢.

الفصل الثاني
حج الأسوة
الأنبياء والأئمة عليهم السلام

إنّما نورد هذا الفصل لمعرفة أهمية الحج العبادية والروحية؛ وأنّه فعل الإنسان الكامل ومحلّ اهتمامه، ومعرفة الدروس منهم عليهم السلام وكذا معرفة أساس تشريع أصل الحج؛ وإلا فباقي تفاصيله ستبين في فصول بعدية. ونكتفي بإيراد بعض الروايات في المقام.

يقول الإمام الخميني قدس سره: ﴿الحج هو تنظيم وتدريب وتأسيس للحياة التوحيدية، والحج هو ميدان تجلي عظمة طاقات المسلمين، واختبار قواهم المادية والمعنوية﴾[1].

- **حجُّ النبي آدم عليه السلام**

إنّه عليه السلام أوّل من حجّ، عن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿إِنَّ آدَمَ عليه السلام هُوَ الَّذِي بَنَى الْبَيْتَ وَوَضَعَ أَسَاسَهُ، وَأَوَّلُ مَنْ كَسَاهُ الشَّعْرَ، وَأَوَّلُ مَنْ حَجَّ إِلَيْهِ، ثُمَّ كَسَاهُ تُبَّعُ بَعْدَ آدَمَ عليه السلام الأَنْطَاعَ[2]، ثُمَّ كَسَاهُ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام الْخَصَفَ[3]، وَأَوَّلُ مَنْ كَسَاهُ الثِّيَابَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عليه السلام؛ كَسَاهُ الْقَبَاطِيَ[4]﴾[5].

أ. عدد حجاته

عن الإمام الرضا عن آبائه عليهم السلام أنّ رَجُلاً سَأَلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: كَمْ حَجَّ آدَمُ مِنْ حِجَّةٍ؟ فَقَالَ عليه السلام: ﴿سَبْعِينَ حِجَّةً مَاشِياً عَلَى قَدَمَيْه﴾[6].

ب. إنّ جبريل عليه السلام علّمه المناسك

عن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ الْوَقْتُ الَّذِي يُرِيدُ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ أَنْ يَتُوبَ عَلَى آدَمَ فِيهِ أَرْسَلَ إِلَيْهِ جَبْرَئِيلَ عليه السلام فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكَ يَا آدَمُ الصَّابِرُ لِبَلِيَّتِهِ، التَّائِبُ عَنْ خَطِيئَتِهِ، إِنَّ اللَّهَ

---

١ الوحدة الإسلامية في فكر الإمام الخميني قدس سره.

٢ الأنطاع: جمع نطع، بساط من الأديم.

٣ الخصف: الثياب الغليظة جداً.

٤ (بفتح القاف وتشديد الباء): ثياب بيض رقيقة تُجلب من مصر وأحدها قبطيّ، نسبة إلى القبط وهم أهل مصر.

٥ من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٢٣٥.

٦ عيون أخبار الرضا عليه السلام ج١ ص٢٤٣.

عَزَّ وجَلَّ بَعَثَنِي إِلَيْكَ لأعَلِّمَكَ الْمَنَاسِكَ الَّتِي يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكَ بِهَا، فَأَخَذَ جَبْرَئِيلُ عليه السلام بِيَدِ آدَمَ عليه السلام حَتَّى أَتَى بِهِ مَكَانَ الْبَيْتِ، فَنَزَلَ غَمَامٌ مِنَ السَّمَاءِ فَأَظَلَّ مَكَانَ الْبَيْتِ، فَقَالَ جَبْرَئِيلُ عليه السلام: يَا آدَمُ خُطَّ بِرِجْلِكَ حَيْثُ أَظَلَّ الْغَمَامُ؛ فَإِنَّهُ قِبْلَةٌ لَكَ ولآخِرِ عَقِبِكَ مِنْ وُلْدِكَ. فَخَطَّ آدَمُ بِرِجْلِهِ حَيْثُ أَظَلَّ الْغَمَامُ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِهِ إِلَى مِنًى؛ فَأَرَاهُ مَسْجِدَ مِنًى فَخَطَّ بِرِجْلِهِ ومَدَّ خِطَّةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بَعْدَ مَا خَطَّ مَكَانَ الْبَيْتِ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِهِ مِنْ مِنًى إِلَى عَرَفَاتٍ، فَأَقَامَهُ عَلَى الْمُعَرَّفِ فَقَالَ: إِذَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ فَاعْتَرِفْ بِذَنْبِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ، وسَلِ اللَّهَ الْمَغْفِرَةَ والتَّوْبَةَ سَبْعَ مَرَّاتٍ. فَفَعَلَ ذَلِكَ آدَمُ عليه السلام، ولِذَلِكَ سُمِّيَ الْمُعَرَّفَ؛ لأَنَّ آدَمَ اعْتَرَفَ فِيهِ بِذَنْبِهِ، وجُعِلَ سُنَّةً لِوُلْدِهِ؛ يَعْتَرِفُونَ بِذُنُوبِهِمْ كَمَا اعْتَرَفَ آدَمُ، ويَسْأَلُونَ التَّوْبَةَ كَمَا سَأَلَهَا آدَمُ، ثُمَّ أَمَرَهُ جَبْرَئِيلُ فَأَفَاضَ مِنْ عَرَفَاتٍ، فَمَرَّ عَلَى الْجِبَالِ السَّبْعَةِ، فَأَمَرَهُ أَنْ يُكَبِّرَ عِنْدَ كُلِّ جَبَلٍ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ، فَفَعَلَ ذَلِكَ آدَمُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى جَمْعٍ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى جَمْعٍ ثُلُثَ اللَّيْلِ فَجَمَعَ فِيهَا الْمَغْرِبَ والْعِشَاءَ الآخِرَةَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ثُلُثَ اللَّيْلِ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ، ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَنْبَطِحَ فِي بَطْحَاءِ جَمْعٍ، فَانْبَطَحَ فِي بَطْحَاءِ جَمْعٍ حَتَّى انْفَجَرَ الصُّبْحُ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَصْعَدَ عَلَى الْجَبَلِ؛ جَبَلِ جَمْعٍ وأَمَرَهُ إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ أَنْ يَعْتَرِفَ بِذَنْبِهِ سَبْعَ مَرَّاتٍ ويَسْأَلَ اللَّهَ التَّوْبَةَ والْمَغْفِرَةَ سَبْعَ مَرَّاتٍ. فَفَعَلَ ذَلِكَ آدَمُ كَمَا أَمَرَهُ جَبْرَئِيلُ عليه السلام. وإِنَّمَا جَعَلَهُ اعْتِرَافَيْنِ لِيَكُونَ سُنَّةً فِي وُلْدِهِ. فَمَنْ لَمْ يُدْرِكْ مِنْهُمْ عَرَفَاتٍ وأَدْرَكَ جَمْعاً فَقَدْ وَافَى حَجَّهُ إِلَى مِنًى، ثُمَّ أَفَاضَ مِنْ جَمْعٍ إِلَى مِنًى فَبَلَغَ مِنًى ضُحًى، فَأَمَرَهُ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ فِي مَسْجِدِ مِنًى، ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يُقَرِّبَ لِلَّهِ قُرْبَاناً لِيُقْبَلَ مِنْهُ ويَعْرِفَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ قَدْ تَابَ عَلَيْهِ ويَكُونَ سُنَّةً فِي وُلْدِهِ الْقُرْبَانُ. فَقَرَّبَ آدَمُ قُرْبَاناً فَقَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ فَأَرْسَلَ نَاراً مِنَ السَّمَاءِ فَقَبِلَتْ قُرْبَانَ آدَمَ، فَقَالَ لَهُ جَبْرَئِيلُ: يَا آدَمُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ إِذْ عَلَّمَكَ الْمَنَاسِكَ الَّتِي يَتُوبُ بِهَا عَلَيْكَ، وقَبِلَ قُرْبَانَكَ، فَاحْلِقْ رَأْسَكَ تَوَاضُعاً لِلَّهِ عَزَّ وجَلَّ إِذْ قَبِلَ قُرْبَانَكَ، فَحَلَقَ آدَمُ رَأْسَهُ تَوَاضُعاً لِلَّهِ عَزَّ وجَلَّ، ثُمَّ أَخَذَ جَبْرَئِيلُ بِيَدِ آدَمَ عليه السلام فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى الْبَيْتِ، فَعَرَضَ لَهُ إِبْلِيسُ عِنْدَ الْجَمْرَةِ، فَقَالَ لَهُ إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ: يَا آدَمُ أَيْنَ تُرِيدُ؟ فَقَالَ لَهُ جَبْرَئِيلُ عليه السلام: يَا آدَمُ ارْمِهِ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ وكَبِّرْ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ تَكْبِيرَةً. فَفَعَلَ ذَلِكَ آدَمُ، فَذَهَبَ إِبْلِيسُ، ثُمَّ عَرَضَ لَهُ

عِنْدَ الْجَمْرَةِ الثَّانِيَةِ فَقَالَ لَهُ: يَا آدَمُ أَيْنَ تُرِيدُ؟ فَقَالَ لَهُ جَبْرَئِيلُ عليه السلام: ارْمِهِ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ وكَبِّرْ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ تَكْبِيرَةً. فَفَعَلَ ذَلِكَ آدَمُ، فَذَهَبَ إِبْلِيسُ ثُمَّ عَرَضَ لَهُ عِنْدَ الْجَمْرَةِ الثَّالِثَةِ، فَقَالَ لَهُ: يَا آدَمُ أَيْنَ تُرِيدُ؟ فَقَالَ لَهُ جَبْرَئِيلُ عليه السلام: ارْمِهِ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ وكَبِّرْ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ تَكْبِيرَةً. فَفَعَلَ ذَلِكَ آدَمُ فَذَهَبَ إِبْلِيسُ، فَقَالَ لَهُ جَبْرَئِيلُ عليه السلام: إِنَّكَ لَنْ تَرَاهُ بَعْدَ مَقَامِكَ هَذَا أَبَداً. ثُمَّ انْطَلَقَ بِهِ إِلَى الْبَيْتِ فَأَمَرَهُ أَنْ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ سَبْعَ مَرَّاتٍ. فَفَعَلَ ذَلِكَ آدَمُ. فَقَالَ لَهُ جَبْرَئِيلُ عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ ذَنْبَكَ، وقَبِلَ تَوْبَتَكَ، وأَحَلَّ لَكَ زَوْجَتَكَ ﴾[1].

ج- إنّ الله عز وجل غفر لآدم بعد الطواف

عن الإمام الباقر عليه السلام قال: ﴿ إِنَّ آدَمَ لَمَّا بَنَى الْكَعْبَةَ وَطَافَ بِهَا فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ لِكُلِّ عَامِلٍ أَجْراً، اللَّهُمَّ وَإِنِّي قَدْ عَمِلْتُ، فَقِيلَ لَهُ: سَلْ يَا آدَمُ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي. فَقِيلَ لَهُ: قَدْ غُفِرَ لَكَ يَا آدَمُ فَقَالَ: وَلِذُرِّيَّتِي مِنْ بَعْدِي. فَقِيلَ لَهُ: يَا آدَمُ مَنْ بَاءَ مِنْهُمْ بِذَنْبِهِ هَاهُنَا كَمَا بُؤْتَ غَفَرْتُ لَهُ ﴾[2].

أقول: ومنه يُعلم أنّ الحج سبب غفران الذنوب، لذا تعّد مسألة طلب الحج والسعي لتحصيله قضية مهمة لمن يبدأ الطريق، فأدنى غرض يمكن تحصله ويكون سبباً للتحرك للحج، هو غفران الذنوب، وإلا فالغرض الأصيل من الحج هو تحصيل اللقاء.

- **حجُّ النبي نوح عليه السلام**

عن المفضل بن عمر قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كَمْ لَبِثَ نُوحٌ فِي السَّفِينَةِ حَتَّى نَضَبَ الْمَاءُ وَ خَرَجُوا مِنْهَا فَقَالَ: ﴿ لَبِثُوا فِيهَا سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيَهَا، وَطَافَتْ بِالْبَيْتِ أُسْبُوعاً، ثُمَ اسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِ؛ وَهُوَ فُرَاتُ الْكُوفَة ﴾[3]. وفي رواية أخرى للإمام الصادق عليه السلام: ﴿ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَوْحَى إِلَى نُوحٍ عليه السلام وَهُوَ فِي السَّفِينَةِ أَنْ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ أُسْبُوعاً، فَطَافَ كَمَا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ، ثُمَّ نَزَلَ فِي الْمَاءِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ فَاسْتَخْرَجَ تَابُوتاً فِيهِ عِظَامُ آدَمَ، فَحَمَلَ التَّابُوتَ فِي جَوْفِ السَّفِينَةِ

---

١ الكافي ج ٤ ص ١٩٢-١٩٤.

٢ بحار الأنوار ج ١١ ص ١٧٩.

٣ الكافي ج ٨ ص ٢٨١.

حَتَّى طَافَ بِالْبَيْتِ مَا شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَطُوفَ، ثُمَّ وَرَدَ إِلَى بَابِ الْكُوفَةِ فِي وَسَطِ مَسْجِدِهَا، فَفِيهَا قَالَ اللَّهُ لِلأَرْضِ: ﴿ ٱبْلَعِي مَآءَكِ ﴾[١] فَبَلَعَتْ مَاءَهَا مِنْ مَسْجِدِ الْكُوفَةِ؛ كَمَا بَدَأَ الْمَاءُ مِنْ مَسْجِدِهَا، وَتَفَرَّقَ الْجَمْعُ الَّذِي كَانَ مَعَ نُوحٍ فِي السَّفِينَةِ، فَأَخَذَ نُوحُ التَّابُوتَ فَدَفَنَهُ بِالْغَرِيِّ ﴾[٢].

- **حجُّ النبي هود والنبي صالح** عليهما السلام

عن ابن عباس قال: لما مرّ رسول الله ﷺ بوادي عسفان حين حجّ قال: ﴿ يا أبا بكر: أيَ وادٍ هذا؟ قال: وادي عسفان، قال: لقد مرّ به هود وصالح على بكرات أحمر، خطمها الليف، أُزَرهُم العباء، وأرديتُهم النمار[٣]، يلبوّن يحجون البيت العتيق ﴾[٤].

- **حجُّ النبي إبراهيم والنبي إسماعيل** عليهما السلام

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ بَشِيرٍ عَنْ أَحَدِهِمَا[٥] عليهما السلام قَالَ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ أَمَرَ إِبْرَاهِيمَ بِبِنَاءِ الْكَعْبَةِ وأَنْ يَرْفَعَ قَوَاعِدَهَا ويُرِيَ النَّاسَ مَنَاسِكَهُمْ، فَبَنَى إِبْرَاهِيمُ وإِسْمَاعِيلُ الْبَيْتَ كُلَّ يَوْمٍ سَافاً، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَوْضِعِ الْحَجَرِ الأَسْوَدِ. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: فَنَادَى أَبُو قُبَيْسٍ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام: إِنَّ لَكَ عِنْدِي وَدِيعَةً؛ فَأَعْطَاهُ الْحَجَرَ فَوَضَعَهُ مَوْضِعَهُ، ثُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام أَذَّنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ اللهِ، إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَحُجُّوا هَذَا الْبَيْتَ فَحُجُّوهُ، فَأَجَابَهُ مَنْ يَحُجُّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وكَانَ أَوَّلُ مَنْ أَجَابَهُ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ. قَالَ[٦] وَحَجَّ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام هُوَ وَأَهْلُهُ وَوَلَدُهُ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الذَّبِيحَ هُوَ إِسْحَاق فَمَنْ هَاهُنَا كَانَ ذَبَحَه[٧] ﴾[٨].

---

١ سورة هود: الآية ٤٤.

٢ كامل الزيارات ص ٣٨-٣٩.

٣ كساء مخطط.

٤ مسند أحمد ج ١ ص ٢٣٢.

٥ هذه الرواية مروية عن الإمام الباقر عليه السلام بقرينة ما سيأتي منها عن أبي جعفر عليه السلام.

٦ أيْ: الإمام الباقر عليه السلام.

٧ أيْ: لم يكن هناك إسحاق ليذبحه.

٨ الكافي ج ٤ ص ٢٠٥-٢٠٦.

- **حجُّ النبي موسى عليه السلام**

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: ﴿أَحْرَمَ مُوسَى عليه السلام مِنْ رَمْلَةِ مِصْرَ. قَالَ: وَمَرَّ بِصِفَاحِ الرَّوْحَاءِ مُحْرِماً، يَقُودُ نَاقَتَهُ بِخِطَامٍ مِنْ لِيفٍ، عَلَيْهِ عَبَاءَتَانِ قَطَوَانِيَّتَانِ، يُلَبِّي وَتُجِيبُهُ الْجِبَالُ﴾[١].

أقول: وهذه الإجابة الصادرة من الجبال إحدى علامات الحج المعنوي.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿لَمَّا حَجَّ مُوسَى عليه السلام نَزَلَ عَلَيْهِ جَبْرَئِيلُ عليه السلام فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا جَبْرَئِيلُ مَا لِمَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ بِلا نِيَّةٍ صَادِقَةٍ وَ لا نَفَقَةٍ طَيِّبَةٍ؟ قَالَ: لا أَدْرِي حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ. فَلَمَّا رَجَعَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا جَبْرَئِيلُ مَا قَالَ لَكَ مُوسَى؟ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا قَالَ قَالَ: يَا رَبِّ قَالَ لِي مَا لِمَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ بِلا نِيَّةٍ صَادِقَةٍ وَ لا نَفَقَةٍ طَيِّبَةٍ؟ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ارْجِعْ إِلَيْهِ وَقُلْ لَهُ أَهَبُ لَهُ حَقِّي وَأُرْضِي عَنْهُ خَلْقِي. قَالَ: فَقَالَ: يَا جَبْرَئِيلُ فَمَا لِمَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ بِنِيَّةٍ صَادِقَةٍ وَنَفَقَةٍ طَيِّبَةٍ؟ قَالَ: فَرَجَعَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ قُلْ لَهُ أَجْعَلُهُ فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى ﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[٢]﴾[٣].

- **حجُّ الخضر وإلياس عليهما السلام**

عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ فَضَّالٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى الرِّضَا عليه السلام يَقُولُ: ﴿إِنَّ الْخَضِرَ عليه السلام شَرِبَ مِنْ مَاءِ الْحَيَاةِ فَهُوَ حَيٌّ لا يَمُوتُ حَتَّى يُنْفَخَ فِي الصُّورِ وَإِنَّهُ لَيَأْتِينَا فَيُسَلِّمُ فَنَسْمَعُ صَوْتَهُ ولا نَرَى شَخْصَهُ وَإِنَّهُ لَيَحْضُرُ حَيْثُ مَا ذُكِرَ فَمَنْ ذَكَرَهُ مِنْكُمْ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَيَحْضُرُ الْمَوْسِمَ كُلَّ سَنَةٍ فَيَقْضِي جَمِيعَ الْمَنَاسِكِ وَيَقِفُ بِعَرَفَةَ فَيُؤَمِّنُ عَلَى دُعَاءِ الْمُؤْمِنِينَ وَسَيُؤْنِسُ اللَّهُ بِهِ وَحْشَةَ قَائِمِنَا فِي غَيْبَتِهِ وَيَصِلُ بِهِ وَحْدَتَهُ﴾[٤].

---

١ المصدر السابق ص ٢١٣.

٢ سورة النساء: الآية ٦٩.

٣ من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٢٣٥-٢٣٦.

٤ كمال الدين ج٢ ص٣٩٠-٣٩١.

وفي رواية: إنّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِزَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ: ﴿إِذَا أَرَدْتَ أَنْ يُؤْمِنَكَ اللَّهُ مِنَ الْغَرَقِ والْحَرَقِ والشَّرَقِ فَقُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ: بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، لا يَصْرِفُ السُّوءَ إِلا اللَّهُ، بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، لا يَسُوقُ الْخَيْرَ إِلا اللَّهُ، بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، مَا يَكُونُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ، بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِهِ الطَّيِّبِينَ. فَإِنَّ مَنْ قَالَهَا ثَلاثاً إِذَا أَصْبَحَ أَمِنَ مِنْ الْحَرَقِ والْغَرَقِ والشَّرَقِ حَتَّى يُمْسِيَ، ومَنْ قَالَهَا ثَلاثاً إِذَا أَمْسَى أَمِنَ مِنَ الْحَرَقِ والْغَرَقِ والشَّرَقِ حَتَّى يُصْبِحَ، وإِنَّ الْخَضِرَ وإِلْيَاسَ عليهما السلام يَلْتَقِيَانِ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ، فَإِذَا تَفَرَّقَا تَفَرَّقَا عَنْ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ﴾[1].

- **حجُّ النبي داود عليه السلام**

عن أبي عبد لله عليه السلام: ﴿إِنَّ دَاوُدَ عليه السلام لَمَّا وَقَفَ الْمَوْقِفَ بِعَرَفَةَ نَظَرَ إِلَى النَّاسِ وَكَثْرَتِهِمْ، فَصَعِدَ الْجَبَلَ فَأَقْبَلَ يَدْعُو، فَلَمَّا قَضَى نُسُكَهُ أَتَاهُ جَبْرَئِيلُ فَقَالَ لَهُ: يَا دَاوُدُ يَقُولُ لَكَ رَبُّكَ لِمَ صَعِدْتَ الْجَبَلَ ظَنَنْتَ أَنَّهُ يَخْفَى عَلَيَّ صَوْتُ مَنْ صَوَّتَ؟ ثُمَّ مَضَى بِهِ إِلَى الْبَحْرِ إِلَى جُدَّةَ فَرَسَبَ[2] بِهِ فِي الْمَاءِ مَسِيرَةَ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً فِي الْبَرِّ، فَإِذَا صَخْرَةٌ فَفَلَقَهَا؛ فَإِذَا فِيهَا دُودَةٌ، فَقَالَ: يَا دَاوُدُ يَقُولُ لَكَ رَبُّكَ أَنَا أَسْمَعُ صَوْتَ هَذِهِ فِي بَطْنِ هَذِهِ الصَّخْرَةِ فِي قَعْرِ هَذَا الْبَحْرِ؛ فَظَنَنْتَ أَنَّهُ يَخْفَى عَلَيَّ صَوْتُ مَنْ صَوَّتَ؟!﴾[3].

- **حجُّ النبي سليمان بن داود عليه السلام**

عن أبي جعفر عليه السلام: ﴿إِنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ حَجَ الْبَيْتَ فِي الْجِنِ والإِنْسِ والطَّيْرِ والرِّيَاحِ، وكَسَا الْبَيْتَ الْقَبَاطِيَّ﴾[4].

---

١ بحار الأنوار ج ١٣ ص ٣٩٩.

٢ أيْ: صار.

٣ الكافي ج٤ ص٢١٤.

٤ المصدر السابق ص ٢١٣.

- **حجُّ النبي عيسى بن مريم عليه السلام**

عن أبي عبد الله عليه السلام: ﴿وَمَرَّ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام بِصَفَائِحِ الرَّوْحَاءِ وهُوَ يَقُولُ لَبَّيْكَ عَبْدُكَ ابْنُ أَمَتِكَ لَبَّيْكَ﴾[1].

- **حجُّ النبي محمد صلى الله عليه وآله**

إختلفت الكلمات في عدد حجّات النبي صلى الله عليه وآله، والإختلاف إنّما يرجع إلى تعدّد الروايات واختلاف مضمونها ظاهراً، فبعض الروايات تذكر أنّه صلى الله عليه وآله حج عشرين حجة[2]، وفي بعضها عشر حجّات[3]، وبعضٌ آخر يقول بأنّه صلى الله عليه وآله حجّ حجة واحدةً فقط وهي حجة الوداع، ولكن مقتضى الجمع والذي تدل عليه روايتان؛ هو أنّه صلى الله عليه وآله حجّ حجات متعددة وكانت حجة الوداع هي الحجة الأخيرة التي ارتحل بعدها صلى الله عليه وآله. وأُولى الروايتين: ما عن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿لَمْ يَحُجَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله بَعْدَ قُدُومِهِ الْمَدِينَةَ إلا وَاحِدَةً وَقَدْ حَجَّ بِمَكَّةَ مَعَ قَوْمِهِ حِجَّات﴾[4].

والأخرى: ما ورد عن زرارة قال: سمعت أبا جعفر وأبا عبد الله عليهما السلام من بعده يقولان: ﴿حَجَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله عِشْرِينَ حَجَّةً مُسْتَسِراً مِنْهَا عَشَرَةُ حِجَجٍ -أَوْ قَالَ سَبْعَةٌ[5]- قَبْلَ النُّبُوَّة﴾[6].

أقول: إذا كان قول الإمام عليه السلام هو العشر فيمكن الجمع بهذه الرواية بين العشر والعشرين، فيُحمل العشرين على جميع حججه صلى الله عليه وآله؛ فعشرٌ منها قبل البعثة وعشر بعد البعثة: تسعٌ بعد البعثة قبل الهجرة، وواحدة بعد الهجرة.

---

١ من لا يحضره الفقيه ج٢ ص٢٣٥.

٢ الكافي ج ٤ ص ٢٤٥ ح ٣ والتهذيب ج ٥ ص ٤٤٣ ح ١٥٤٠.

٣ الكافي ج ٤ ص ٢٤٤ ح ٢ والفقيه ج ٢ ص ١٥٤ ح ٦٦٧ والتهذيب ج ٥ ص ٤٤٣ ح ١٥٤٢.

٤ الكافي ج ٤ ص ٢٤٤.

٥ الترديد مِنَ الرَّاوِي.

٦ بحار الأنوار ج ١٥ ص ٣٦١.

• حجُّ أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام

عن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿كَانَ عَلِيٌّ صلوات الله عليه لَيَنْقَطِعُ رِكَابُهُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَيَشُدُّهُ بِخُوصَةٍ لِيُهَوِّنَ الْحَجَّ عَلَى نَفْسِهِ﴾[١].

أقول: فيه إشارة إلى مباشرة العمل لتسهيل أمر الحجّ لكي لا يصعب عليه شيء فيما بعد فيوفر جهده وعزمه لأيام الحج الشديدة.

وقد روي أنه عليه السلام: ﴿أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَدِمَ مَكَّةَ بَدَأَ بِمَنْزِلِهِ قَبْلَ أَنْ يَطُوفَ﴾[٢].

أقول: وفيه إشارة إلى عظم منزل علي وفاطمة عليهما السلام وأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يطلب الإذن قبل دخوله ويسلّم على أهله من وراء الباب.

• حجُّ الإمام الحسن عليه السلام

عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: ﴿حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ عليهما السلام أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليهما السلام كَانَ أَعْبَدَ النَّاسِ فِي زَمَانِهِ وَأَزْهَدَهُمْ وَأَفْضَلَهُمْ، وَكَانَ إِذَا حَجَّ حَجَّ مَاشِياً؛ وَرُبَّمَا مَشَى حَافِياً، وَكَانَ إِذَا ذَكَرَ الْمَوْتَ بَكَى، وَإِذَا ذَكَرَ الْقَبْرَ بَكَى، وَإِذَا ذَكَرَ الْبَعْثَ وَالنُّشُورَ بَكَى، وَإِذَا ذَكَرَ الْمَمَرَّ عَلَى الصِّرَاطِ بَكَى، وَإِذَا ذَكَرَ الْعَرْضَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ شَهَقَ شَهْقَةً يُغْشَى عَلَيْهِ مِنْهَا، وَكَانَ إِذَا قَامَ فِي صَلاتِهِ تَرْتَعِدُ فَرَائِصُهُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَانَ إِذَا ذَكَرَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ اضْطَرَبَ اضْطِرَابَ السَّلِيمِ، وَيَسْأَلُ اللَّهَ الْجَنَّةَ؛ وَيَعُوذُ بِهِ مِنَ النَّارِ﴾[٣].

• حجُّ الإمام الحسين عليه السلام

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: ﴿قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا نَدِمْتُ عَلَى شَيْءٍ نَدَمِي عَلَى أَنْ لَمْ أَحُجَّ مَاشِياً، لأنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ: مَنْ حَجَ بَيْتَ اللَّهِ مَاشِياً كَتَبَ اللَّهُ لَهُ سَبْعَةَ آلافِ حَسَنَةٍ مِنْ حَسَنَاتِ الْحَرَمِ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا حَسَنَاتُ الْحَرَمِ؟ قَالَ حَسَنَةٌ أَلْفُ

---

١ الكافي ج٤ ص ٢٨٠.

٢ المصدر السابق ص ٣٩٩.

٣ الأمالي (للصدوق) ص ١٧٨–١٧٩.

أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَقَالَ[1]: فَضْلُ الْمُشَاةِ فِي الْحَجِّ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ النُّجُومِ، وَكَانَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عليهما السلام يَمْشِي إِلَى الْحَجِّ وَ دَابَّتُهُ تُقَادُ وَرَاءَهُ ﴾[2].

• **حجُّ الإمام علي بن الحسين عليه السلام**

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: ﴿ قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام لابْنِهِ مُحَمَّدٍ حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ: إِنَّنِي قَدْ حَجَجْتُ عَلَى نَاقَتِي هَذِهِ عِشْرِينَ حِجَّةً، فَلَمْ أَقْرَعْهَا بِسَوْطٍ قَرْعَةً، فَإِذَا نَفَقَتْ فَادْفِنْهَا؛ لا يَأْكُلْ لَحْمَهَا السِّبَاعُ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَالَ: مَا مِنْ بَعِيرٍ يُوقَفُ عَلَيْهِ مَوْقِفَ عَرَفَةَ سَبْعَ حِجَجٍ؛ إِلا جَعَلَهُ اللَّهُ مِنْ نَعَمِ الْجَنَّةِ وَ بَارَكَ فِي نَسْلِهِ، فَلَمَّا نَفَقَتْ حَفَرَ لَهَا أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام وَدَفَنَهَا ﴾[3].

ومن دروس الإمام زين العابدين عليه السلام مع من لقيه في طريق الحج وردت روايات كثيرة نذكر منها:

مَا وَرَدَ عَنْ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ وَ فَتْحُ الْمَوْصِلِيُّ قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: كُنْتُ أَسِيحُ فِي الْبَادِيَةِ مَعَ الْقَافِلَةِ فَعَرَضَتْ لِي حَاجَةٌ، فَتَنَحَّيْتُ عَنِ الْقَافِلَةِ؛ فَإِذَا أَنَا بِصَبِيٍّ يَمْشِي: فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ بَادِيَةٌ بَيْدَاءُ وَصَبِيٌّ يَمْشِي، فَدَنَوْتُ مِنْهُ وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلامَ، فَقُلْتُ لَهُ: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: ﴿ أُرِيدُ بَيْتَ رَبِّي. فَقُلْتُ: حَبِيبِي إِنَّكَ صَغِيرٌ لَيْسَ عَلَيْكَ فَرْضٌ وَلا سُنَّةٌ. فَقَالَ: يَا شَيْخُ مَا رَأَيْتَ مَنْ هُوَ أَصْغَرُ سِناً مِنِّي مَاتَ؟! فَقُلْتُ: أَيْنَ الزَّادُ وَالرَّاحِلَةُ؟ فَقَالَ: زَادِي تَقْوَايَ، وَرَاحِلَتِي رِجْلايَ، وَقَصْدِي مَوْلايَ، فَقُلْتُ: مَا أَرَى شَيْئاً مِنَ الطَّعَامِ مَعَكَ؟ فَقَالَ: يَا شَيْخُ؛ هَلْ يُسْتَحْسَنُ أَنْ يَدْعُوَكَ إِنْسَانٌ إِلَى دَعْوَةٍ فَتَحْمِلَ مِنْ بَيْتِكَ الطَّعَامَ؟ قُلْتُ: لا. قَالَ: الَّذِي دَعَانِي إِلَى بَيْتِهِ هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي، فَقُلْتُ: ارْفَعْ رِجْلَكَ حَتَّى تُدْرِكَ، فَقَالَ: عَلَيَّ الْجِهَادُ وَ عَلَيْهِ الإِبْلاغُ، أَ مَا سَمِعْتَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[4]؟ قَالَ: فَبَيْنَا

---

١ أيْ: الإمام الباقر عليه السلام.

٢ المحاسن ج ١ ص ٧٠.

٣ ثواب الأعمال ص ٥٠.

٤ سورة العنكبوت: الآية ٦٩.

نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ شَابٌّ حَسَنُ الْوَجْهِ، عَلَيْهِ ثِيَابٌ بِيضٌ حَسَنَةٌ، فَعَانَقَ الصَّبِيَّ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَأَقْبَلْتُ عَلَى الشَّابِّ وَقُلْتُ لَهُ: أَسْأَلُكَ بِالَّذِي حَسَّنَ خَلْقَكَ: مَنْ هَذَا الصَّبِيُّ؟ فَقَالَ أَ مَا تَعْرِفُهُ؟ هَذَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ. فَتَرَكْتُ الشَّابَّ وَأَقْبَلْتُ عَلَى الصَّبِيِّ وَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ بِآبَائِكَ مَنْ هَذَا الشَّابُّ؟ فَقَالَ: أَ مَا تَعْرِفُهُ؟ هَذَا أَخِي الْخَضِرُ؛ يَأْتِينَا كُلَّ يَوْمٍ فَيُسَلِّمُ عَلَيْنَا، فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ بِحَقِّ آبَائِكَ لَمَّا أَخْبَرْتَنِي بِمَا تَجُوزُ الْمَفَاوِزَ بِلا زَادٍ؟ قَالَ بَلْ أَجُوزُ بِزَادٍ؛ وَزَادِي فِيهَا أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ. قُلْتُ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: أَرَى الدُّنْيَا كُلَّهَا بِحَذَافِيرِهَا مَمْلَكَةَ اللَّهِ، وَأَرَى الْخَلْقَ كُلَّهُمْ عَبِيدَ اللَّهِ وَ إِمَاءَهُ وَ عِيَالَهُ، وَأَرَى الأَسْبَابَ وَالأَرْزَاقَ بِيَدِ اللَّهِ، وَأَرَى قَضَاءَ اللَّهِ نَافِذاً فِي كُلِّ أَرْضِ اللَّهِ. فَقُلْتُ: نِعْمَ الزَّادُ زَادُكَ يَا زَيْنَ الْعَابِدِينَ، وَأَنْتَ تَجُوزُ بِهَا مَفَاوِزَ الآخِرَةِ؛ فَكَيْفَ مَفَاوِزُ الدُّنْيَا؟ ﴾[1].

ومن دروسه ﵇ أنه نَظَرَ يَوْمَ عَرَفَةَ إِلَى رِجَالٍ يَسْأَلُونَ؛ فَقَالَ: ﴿هَؤُلاءِ شِرَارٌ مَنْ خَلَقَ اللَّهُ، النَّاسُ مُقْبِلُونَ عَلَى اللَّهِ؛ وَهُمْ مُقْبِلُونَ عَلَى النَّاسِ﴾[2].

- **حجُّ الإمام الباقر ﵇**

عَنْ أَفْلَحَ مَوْلَى أَبِي جَعْفَرٍ ﵇ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍ حَاجّاً، فَلَمَّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ نَظَرَ إِلَى الْبَيْتِ فَبَكَى حَتَّى عَلا صَوْتُهُ، فَقُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي؛ إِنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ فَلَوْ رَفَعْتَ بِصَوْتِكَ قَلِيلاً، فَقَالَ لِي: ﴿وَيْحَكَ يَا أَفْلَحُ وَلِمَ لا أَبْكِي؛ لَعَلَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَنْظُرَ إِلَيَّ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ فَأَفُوزَ بِهَا عِنْدَهُ غَداً، قَالَ: ثُمَّ طَافَ بِالْبَيْتِ، ثُمَّ جَاءَ حَتَّى رَكَعَ عِنْدَ الْمَقَامِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ مِنْ سُجُودِهِ؛ فَإِذَا مَوْضِعُ سُجُودِهِ مُبْتَلٌّ مِنْ كَثْرَةِ دُمُوعِ عَيْنَيْهِ، وَكَانَ إِذَا ضَحِكَ قَالَ: اللَّهُمَّ لا تَمْقُتْنِي﴾[3].

---

١ بحار الأنوار ج ٤٦ ص٣٨.

٢ المصدر السابق ج ٩٦ ص ٢٦١.

٣ المصدر السابق ج ٤٦ ص ٢٩٠.

ومن أهم مطالب الحج ودروسها، بل ومن أهم أغراض وعلل الحج هو إثبات الولاية ومعرفة دُعُمِها وأسِّها وأساسها وهي معرفتهم (عليهم السلام)، وهذا المطلب ذكره الإمام الباقر (عليه السلام) واضحاً في كلماته وما يرتبط بالولاية في أيام الحج.

منها ما عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ (عليه السلام) وَ هُوَ جَالِسٌ عَلَى الْبَابِ الَّذِي إِلَى الْمَسْجِدِ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى النَّاسِ يَطُوفُونَ فَقَالَ: «يَا أَبَا حَمْزَةَ بِمَا أُمِرَ هَؤُلاءِ؟ فَلَمْ أَدْرِ مَا أَرُدُّ عَلَيْهِ، فَقَالَ: إِنَّمَا أُمِرُوا أَنْ يَطُوفُوا بِهَذِهِ الأَحْجَارِ ثُمَّ يَأْتُونَا فَيُعْلِمُونَّا وَلايَتَهُمْ»[1].

- **حجُّ الإمام الصادق (عليه السلام)**

عَنْ أَبِي الْفَرَجِ السِّنْدِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) قَالَ: كُنْتُ أَطُوفُ مَعَهُ بِالْبَيْتِ فَقَالَ: «أَيُّ هَذَا أَعْظَمُ حُرْمَةً؟ فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ؛ أَنْتَ أَعْلَمُ بِهَذَا مِنِّي، فَأَعَادَ عَلَيَّ، فَقُلْتُ لَهُ: دَاخِلُ الْبَيْتِ، فَقَالَ: الرُّكْنُ الْيَمَانِيُّ عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، مَفْتُوحٌ لِشِيعَةِ آلِ مُحَمَّدٍ مَسْدُودٌ عَنْ غَيْرِهِمْ، وَمَا مِنْ مُؤْمِنٍ يَدْعُو بِدُعَاءٍ عِنْدَهُ إِلا صَعِدَ دُعَاؤُهُ حَتَّى يَلْصَقَ بِالْعَرْشِ؛ مَا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»[2].

- **حجُّ الإمام الكاظم (عليه السلام)**

حَدَّثَنِي أَبُو الْمُفَضَّلِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِ ابْنِ الزُّبَيْرِ الْبَلْخِيُ بِبَلْخٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حُسَامُ بْنُ حَاتِمٍ الأَصَمُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: قَالَ لِي شَقِيقٌ-يَعْنِي ابْنَ إِبْرَاهِيمَ[3] الْبَلْخِيِّ-: خَرَجْتُ حَاجّاً إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ، فَنَزَلْنَا الْقَادِسِيَّةَ، قَالَ شَقِيقٌ: فَنَظَرْتُ إِلَى النَّاسِ فِي زِيِّهِمْ بِالْقِبَابِ وَالْعَمَّارِيَّاتِ[4] وَالْخِيَمِ وَالْمَضَارِبِ، وَكُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ قَدْ تَزَيَّا عَلَى قَدْرِهِ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنَّهُمْ قَدْ خَرَجُوا إِلَيْكَ فَلا تَرُدَّهُمْ خَائِبِينَ.

---

١ وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٣٢٤.

٢ الكافي ج ٤ ص ٤٠٩.

٣ في نسخة: يعني إبراهيم.

٤ جمع عمارية: الهودج الّذي يجلس فيه.

فَبَيْنَمَا أَنَا قَائِمٌ، وَزِمَامُ رَاحِلَتِي بِيَدِي، وَأَنَا أَطْلُبُ مَوْضِعاً أَنْزِلُ فِيهِ مُنْفَرِداً عَنِ النَّاسِ، إِذْ نَظَرْتُ إِلَى فَتًى حَدَثِ السِّنِّ، حَسَنِ الْوَجْهِ، شَدِيدِ السُّمْرَةِ، عَلَيْهِ سِيمَاءُ الْعِبَادَةِ وَشَوَاهِدُهَا، وَبَيْنَ عَيْنَيْهِ سَجَّادَةٌ[١] كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ، وَعَلَيْهِ مِنْ فَوْقِ ثَوْبِهِ شِمْلَةٌ مِنْ صُوفٍ، وَفِي رِجْلِهِ نَعْلٌ عَرَبِيٌّ، وَهُوَ مُنْفَرِدٌ فِي عُزْلَةٍ مِنَ النَّاسِ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَذَا الْفَتَى مِنْ هَؤُلاءِ الصُّوفِيَّةِ الْمُتَوَكِّلَةِ، يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ كَلاً عَلَى النَّاسِ فِي هَذَا الطَّرِيقِ، وَاللَّهِ لأَمْضِيَنَّ إِلَيْهِ، وَ لأُوَبِّخَنَّهُ.

قَالَ: فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَلَمَّا رَآنِي مُقْبِلاً نَحْوَهُ قَالَ لِي: (يَا شَقِيقُ ﴿ اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾[٢] وَ قَرَأَ الآيَةَ، ثُمَّ تَرَكَنِي وَمَضَى، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: قَدْ تَكَلَّمَ هَذَا الْفَتَى عَلَى سِرِّي، وَنَطَقَ بِمَا فِي نَفْسِي، وَسَمَّانِي بِاسْمِي، وَمَا فَعَلَ هَذَا إِلا وَهُوَ وَلِيُّ اللَّهِ، أَلْحَقُهُ وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَجْعَلَنِي فِي حِلٍّ، فَأَسْرَعْتُ وَرَاءَهُ، فَلَمْ أَلْحَقْهُ، وَغَابَ عَنْ عَيْنِي، فَلَمْ أَرَهُ.

وَارْتَحَلْنَا حَتَّى نَزَلْنَا وَاقِصَةَ[٣]، فَنَزَلْتُ نَاحِيَةً مِنَ الْحَاجِّ، وَنَظَرْتُ فَإِذَا صَاحِبِي قَائِمٌ يُصَلِّي عَلَى كَثِيبِ رَمْلٍ، وَهُوَ رَاكِعٌ وَسَاجِدٌ، وَأَعْضَاؤُهُ تَضْطَرِبُ، وَدُمُوعُهُ تَجْرِي مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقُلْتُ: هَذَا صَاحِبِي، لأَمْضِيَنَّ إِلَيْهِ، ثُمَّ لأَسْأَلَنَّهُ أَنْ يَجْعَلَنِي فِي حِلٍّ، فَأَقْبَلْتُ نَحْوَهُ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيَّ مُقْبِلاً قَالَ لِي: يَا شَقِيقُ ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾[٤] ثُمَّ غَابَ عَنْ عَيْنِي فَلَمْ أَرَهُ، فَقُلْتُ: هَذَا رَجُلٌ مِنَ الأَبْدَالِ[٥]، وَقَدْ تَكَلَّمَ عَلَى سِرِّي مَرَّتَيْنِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَ اللَّهِ فَاضِلاً مَا تَكَلَّمَ عَلَى سِرِّي.

---

١ أيْ: أثر السّجود في الجبهة.

٢ سورة الحجرات: الآية ١٢.

٣ منزل بطريق مكّة، ينزله الحاجّ، دون زبالة بمرحلتين. معجم البلدان ٥: ٣٥٤.

٤ سورة طه: الآية ٨٢.

٥ قوم من الصّالحين لا تخلو الدّنيا منهم، سمّوا بذلك لأنّهم كلّما مات واحد منهم أبدل اللّه مكانه آخر. أنظر [النّهاية ١: ١٠٧، مجمع البحرين- بدل- ٥: ٣١٩].

وَرحَلَ الْحَاجُ وَأَنَا مَعَهُمْ، حَتَّى نَزَلْنَا بِزُبَالَةَ[١]، فَإِذَا أَنَا بِالْفَتَى قَائِمٌ عَلَى الْبِئْرِ، وَبِيَدِهِ رَكْوَةٌ يَسْتَقِي بِهَا مَاءً، فَانْقَطَعَتِ الرَّكْوَةُ فِي الْبِئْرِ، فَقُلْتُ: صَاحِبِي وَاللَّهِ؛ فَرَأَيْتُهُ قَدْ رَمِقَ السَّمَاءَ بِطَرْفِهِ، وَهُوَ يَقُولُ:

أَنْتَ رَبِّي إِذَا ظَمِأْتُ إِلَى الْمَا ءِ وَ قُوتِي إِذَا أَرَدْتُ الطَّعَامَا

إِلَهِي وَسَيِّدِي مَا لِي سِوَاهَا، فَلا تُعْدِمْنِيهَا.

قَالَ شَقِيقٌ: فَوَ اللَّهِ، لَقَدْ رَأَيْتُ الْبِئْرَ وَقَدْ فَاضَ مَاؤُهَا حَتَّى جَرَى عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، فَمَدَّ يَدَهُ، فَتَنَاوَلَ الرَّكْوَةَ، فَمَلأَهَا مَاءً، ثُمَّ تَوَضَّأَ، فَأَسْبَغَ الْوُضُوءَ، وَصَلَّى رَكَعَاتٍ، ثُمَّ مَالَ إِلَى كَثِيبِ رَمْلٍ أَبْيَضَ، فَجَعَلَ يَقْبِضُ بِيَدِهِ مِنَ الرَّمْلِ وَيَطْرَحُهُ فِي الرَّكْوَةِ، ثُمَّ يُحَرِّكُهَا وَيَشْرَبُ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: أَ تَرَاهُ قَدْ حَوَّلَ الرَّمْلَ سَوِيقاً؟!

فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَقُلْتُ لَهُ: أَطْعِمْنِي رَحِمَكَ اللَّهُ، مِنْ فَضْلِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ. فَنَظَرَ وَقَالَ لِي: يَا شَقِيقُ، لَمْ تَزَلْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ سَابِغَةً، وَأَيَادِيهِ لَدَيْنَا جَمِيلَةً، فَأَحْسِنْ ظَنَّكَ بِرَبِّكَ، فَإِنَّهُ لا يُضَيِّعُ مَنْ أَحْسَنَ بِهِ ظَنّاً.

فَأَخَذْتُ الرَّكْوَةَ مِنْ يَدِهِ وَشَرِبْتُ، فَإِذَا سَوِيقٌ وَسُكَّرٌ، فَوَ اللَّهِ مَا شَرِبْتُ شَيْئاً قَطُّ أَلَذَّ مِنْهُ، وَلا أَطْيَبَ رَائِحَةً، فَشَبِعْتُ وَرَوِيتُ، وَأَقَمْتُ أَيَّاماً لا أَشْتَهِي طَعَاماً وَلا شَرَاباً، فَدَفَعْتُ إِلَيْهِ الرَّكْوَةَ.

ثُمَّ غَابَ عَنْ عَيْنِي، فَلَمْ أَرَهُ حَتَّى دَخَلْتُ مَكَّةَ وَقَضَيْتُ حَجِّي، فَإِذَا أَنَا بِالْفَتَى فِي هَدْأَةٍ مِنَ اللَّيْلِ، وَقَدْ زَهَرَتِ النُّجُومُ، وَهُوَ إِلَى جَانِبِ قُبَّةِ الشَّرَابِ[٢] رَاكِعاً سَاجِداً، لا يُرِيدُ مَعَ اللَّهِ سِوَاهُ، فَجَعَلْتُ أَرْعَاهُ وَأَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَهُوَ يُصَلِّي بِخُشُوعٍ وَأَنِينٍ وَبُكَاءٍ، وَيُرَتِّلُ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً، فَكُلَّمَا مَرَّتْ آيَةٌ فِيهَا وَعْدٌ وَوَعِيدٌ رَدَّدَهَا عَلَى نَفْسِهِ، وَدُمُوعُهُ تَجْرِي عَلَى خَدِّهِ، حَتَّى إِذَا دَنَا الْفَجْرُ جَلَسَ فِي مُصَلاهُ يُسَبِّحُ رَبَّهُ وَيُقَدِّسُهُ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى الْغَدَاةَ، وَطَافَ بِالْبَيْتِ أُسْبُوعاً[٣]، وَخَرَجَ مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ، فَخَرَجْتُ، فَرَأَيْتُ لَهُ حَاشِيَةً وَمَوَالِيَ، وَإِذَا عَلَيْهِ لِبَاسٌ خِلافُ الَّذِي شَاهَدْتُ، وَإِذَا

---

١ قرية عامرة بين واقصة والثعلبية بطريق مَكّة من الكوفة. معجم البلدان ٣: ١٢٩.

٢ في نسخة: بيت فيه الشَّراب، و في نسخة: بيت فيه السَّراب.

٣ أيْ: سبع مرّات.

النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِ يَسْأَلُونَهُ عَنْ مَسَائِلِهِمْ، وَيُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لِبَعْضِ النَّاسِ، أَحْسَبُهُ مِنْ مَوَالِيهِ: مَنْ هَذَا الْفَتَى؟

فَقَالَ لِي: هَذَا أَبُو إِبْرَاهِيمَ، عَالِمِ آلِ مُحَمَّدٍ.

قُلْتُ: وَمَنْ أَبُو إِبْرَاهِيمَ؟

قَالَ: مُوسَى بْنُ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليهم السلام.

فَقُلْتُ: لَقَدْ عَجِبْتُ أَنْ تُوجَدَ هَذِهِ الشَّوَاهِدُ إِلا فِي هَذِهِ الذُّرِّيَّةِ ﴾[1].

- **حجُّ الإمام الرضا عليه السلام**

عن محمد بن العلاء الجرجاني قال: حججتُ فرأيتُ علي بن موسى الرضا عليه السلام يطوف بالبيت فقلتُ له: جعلتُ فداك، هذا الحديث قد رُوي عن النبي صلى الله عليه وآله: ﴿من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهلية﴾.

قال: فقال: ﴿نعم، حدّثني أبي، عن جدي، عن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية﴾.

قال: فقلتُ له: جُعلتُ فداك، ومن مات ميتة جاهلية؟ قال: مشرك﴾[2].

- **حجُّ الإمام الجواد عليه السلام**

عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَهْزِيَارَ قَالَ: ﴿رَأَيْتُ أَبَا جَعْفَرٍ الثَّانِيَ عليه السلام لَيْلَةَ الزِّيَارَةِ طَافَ طَوَافَ النِّسَاءِ، وَصَلَّى خَلْفَ الْمَقَامِ، ثُمَّ دَخَلَ زَمْزَمَ فَاسْتَقَى مِنْهَا بِيَدِهِ بِالدَّلْوِ الَّذِي يَلِي الْحَجَرَ وَشَرِبَ مِنْهُ وَصَبَّ عَلَى بَعْضِ جَسَدِهِ، ثُمَّ اطَّلَعَ فِي زَمْزَمَ مَرَّتَيْنِ وَأَخْبَرَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا أَنَّهُ رَآهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِسَنَةٍ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ﴾[3].

---

١ دلائل الإمامة (ط. الحديثة) ص٣١٧-٣١٩.

٢ الثاقب في المناقب ص ٤٩٥.

٣ الكافي ج ٤ ص ٤٣٠-٤٣١.

- **حجُّ الإمام الهادي** عليه السلام

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ الرامزي قَالَ: كَانَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عليهما السلام حَاجّاً، وَلَمَّا كَانَ فِي انْصِرَافِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَجَدَ رَجُلاً خُرَاسَانِيّاً وَاقِفاً عَلَى حِمَارٍ لَهُ مَيِّتٍ يَبْكِي وَيَقُولُ: عَلَى مَاذَا أَحْمِلُ رَحْلِي؟ فَاجْتَازَ عليه السلام بِهِ فَقِيلَ لَهُ: هَذَا الرَّجُلُ الْخُرَاسَانِيُ مِمَّنْ يَتَوَلاكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ، فَدَنَا مِنَ الْحِمَارِ الْمَيِّتِ، فَقَالَ: ﴿لَمْ تَكُنْ بَقَرَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَكْرَمَ عَلَى اللهِ تَعَالَى مِنِّي وَقَدْ ضُرِبَ بِبَعْضِهَا الْمَيِّتُ فَعَاشَ، ثُمَّ وَكَزَهُ بِرِجْلِهِ الْيُمْنَى وَقَالَ: قُمْ بِإِذْنِ اللهِ، فَتَحَرَّكَ الْحِمَارُ، ثُمَّ قَالَ: وَوَضَعَ الْخُرَاسَانِيُّ رَحْلَهُ عَلَيْهِ وَأَتَى بِهِ الْمَدِينَةَ، وَكُلَّمَا مَرَّ ع أَشَارُوا عَلَيْهِ بِإِصْبَعِهِمْ وَقَالُوا: هَذَا الَّذِي أَحْيَا حِمَارَ الْخُرَاسَانِيِّ﴾[1].

- **حجُّ الإمام العسكري** عليه السلام

عَنْ أَبِي نَصْرٍ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عُبَيْدٍ الضَّبِّيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ بَابَوَيْهِ الرَّجُلُ الصَّالِحُ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَاشِمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ أَبُو السَّيِّدِ الْمَحْجُوبِ، إِمَامُ عَصْرِهِ بِمَكَّةَ قَالَ: ﴿حَدَّثَنِي أَبِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّقِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ التَّقِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَلِيُّ بْنُ مُوسَى الرِّضَا قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ الْكَاظِمُ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّادِقُ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْبَاقِرُ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ السَّجَّادُ زَيْنُ الْعَابِدِينَ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ سَيِّدُ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ سَيِّدُ الأَوْصِيَاءِ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ سَيِّدُ الأَنْبِيَاءِ ص قَالَ: حَدَّثَنِي جَبْرَئِيلُ سَيِّدُ الْمَلائِكَةِ قَالَ: قَالَ اللَّهُ سَيِّدُ

---

١ بحار الأنوار ج ٥٠ ص ١٨٥.

السَّادَاتِ عَزَّ وَ جَلَ: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ ﴾[١]، فَمَنْ أَقَرَّ لِي بِالتَّوْحِيدِ دَخَلَ حِصْنِي وَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي ﴾[٢].

أقول: هذا هو الخبر الوتر الذي يدلّ على حج الإمام الحسن العسكري عليه السلام بقرينة (بِمَكَّة) ولَعَلَّ هناكَ أخبار أخرى ولكننّا لم نعثر عليها.

- **حجُّ الإمام صاحب العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف**

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ الْعَمْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: ﴿سَمِعْتُهُ يَقُولُ: وَاللَّهِ إِنَّ صَاحِبَ هَذَا الأمْرِ لَيَحْضُرُ الْمَوْسِمَ كُلَ سَنَةٍ، فَيَرَى النَّاسَ وَيَعْرِفُهُمْ، وَيَرَوْنَهُ وَلا يَعْرِفُونَهُ ﴾[٣].

---

١ سورة طه: الآية ١٤.

٢ عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ١٣٥.

٣ كمال الدين ج٢ ص ٤٤٠.

المقصد الثاني: الأماكن

وفيه فصلان

الفصل الأول
مكة

مقدمة مكة:

الميقات

الميقات -في الأصل- هو: الوقت المحدَّد، ثم استُعير للمكان، أيْ: موضع الإحرام. وهو المكان الذي يُحرِم منه الداخلين إلى مَكَّة.

ويتحقق في الميقات عدة أمور سيأتي ذكرها في محلها، والذي يرتبط بالميقات الآن هو أمران:

١- خلع لباس المعصية

في حديث الشبلي عن زين العابدين عليه السلام: ﴿قال: فَحِينَ نَزَلْتَ الْمِيقَاتَ نَوَيْتَ أَنَّكَ خَلَعْتَ ثَوْبَ الْمَعْصِيَةِ ولَبِسْتَ ثَوْبَ الطَّاعَةِ؟ قال: لا﴾[١].

فالناسك حال نزوله إلى الميقات إذا لم ينوِ ترك المخالفات الإلهية والمعاصي، ففي الواقع لم ينوِ الإحرام بل أنه لم يصل الميقات أصلاً، لأنّ الوصول إلى الميقات يعني ترك ما لا يليق لأنّك في المكان المقدّس لحرم الله تعالى ومكان التهيؤ له تعالى فيه.

٢- زيارة الله عز وجل

عن الإمام السجاد عليه السلام: ﴿قال: فَحِينَ دَخَلْتَ الْمِيقَاتَ نَوَيْتَ أَنَّكَ بِنِيَّةِ الزِّيَارَةِ؟ قال: لا﴾[٢].

إنّ الميقات أول منازل السالكين وبداية حدّ الحضور، لذا فالحاج لا بدَّ أنْ يلتفت إلى أنّ الميقات أرض الرجوع إلى عهدِ وميثاقِ عالمِ (ألست)[٣] الذي قطعه في ذلك العالم، ففي الميقات يتهيأ الحاج للقاء الله عز وجل، وانطلاقه للسير المعنوي نحو اللقاء يكون من الميقات. وهذا السفر سفر من الدنيا إلى الآخرة، ومن التوبة إلى التوحيد، ومن الكثرة إلى الوحدة،

---

١ مستدرك الوسائل ج ١٠ ص ١٦٦.

٢ المصدر السابق ص ١٦٧.

٣ إشارة إلى عالم الذر، لقوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾.[سورة الأعراف: الآية ١٧٢].

ومن الشهادة إلى الغيب، ومن الظاهر إلى الباطن، ومن (أنا) إلى (هو)، ثم من (أنا) إلى (أنتَ)، ثم ليس إلا (أنتَ).

بـــه ميقـــات آمـــدم تـــا بيـــنم او را   بـــه آب توبـــه شـــويم دســـت و رو را

ببـــار اى ابـــر رحمـــت بـــر ســـر مـــن   كـــه مـــى بيـــنم بهـــار ارزو را[1]

يعني:

جئـــتُ إلـــى الميقـــات لكـــي أراه   ولأغســـل يـــدي ووجهـــي بمـــاء التوبـــة

أمطِـــر يـــا غـــيم الرحمـــة علـــى رأســـي   إذ أنَـــــي أرى ربيـــــع آمـــــالي

والمواقيت -كما هو معروف في الفقه- متعددة يحرُم أهلُ كلِّ جهةٍ من الميقات الذي في جهتهم، والظاهر أنَّ أهم المواقيت ومحلُّ النظر هو مسجد الشجرة، فالكلُّ يذهب للإحرام منه من باب التأسي بالنبي ﷺ لأنّه أحرم من هناك، وقد ذكرت الروايات سبب ذلك، كما عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْوَلِيدِ عَمَّنْ ذَكَرَهُ قَالَ: قُلْتُ لأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام لأيِّ عِلَّةٍ أَحْرَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَسْجِدِ الشَّجَرَةِ وَ لَمْ يُحْرِمْ مِنْ مَوْضِعٍ دُونَهُ؟ قَالَ: ﴿ لأنَّهُ لَمَّا أُسْرِيَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ وَصَارَ بِحِذَاءِ الشَّجَرَةِ، وَكَانَتِ الْمَلائِكَةُ تَأْتِي إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ بِحِذَاءِ الْمَوَاضِعِ الَّتِي هِيَ مَوَاقِيتُ سِوَى الشَّجَرَةِ، فَلَمَّا كَانَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي بِحِذَاءِ الشَّجَرَةِ نُودِيَ: يَا مُحَمَّدُ قَالَ: لَبَّيْكَ، قَالَ: أَ لَمْ أَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَيْتُ، وَوَجَدْتُكَ ضَالاً فَهَدَيْتُ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ وَالْمُلْكَ لَكَ لا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، فَلِذَلِكَ أَحْرَمَ مِنَ الشَّجَرَةِ دُونَ الْمَوَاضِعِ كُلِّهَا ﴾[2].

يقول الإمام الخميني قدس سره: ﴿في المواقيت الإلهية والمقامات المقدسة، في جوار بيت الله المليء بالبركات، راعوا آداب الحضور في الساحة المقدسة للعلي العظيم وحرروا قلوبكم أيُها الحجاج الأعزاء من جميع الإرتباطات المتعلقة بغير الله، وأخرجوا من قلوبكم حب ما سوى الله، ونوروها بأنوار التجليات الإلهية حتى تكون الأعمال والمناسك في مسيرها إلى الله مليئة

---

١ اسرار عرفاني حج محمد تقي فعالي ص ٣١٦.

٢ علل الشرائع ج ٢ ص ٤٣٣-٤٣٤.

بمضمون الحج الإبراهيمي وبعده بالحج المحمدي، وبمقدار تخفيف الحمل من أفعال الطبيعة يسلم الجميع من أوزار المُنى والمَنيَّة، ويحمل ثقل معرفة الحق وعشق المحبوب﴾[١].

مكة[٢]

إسم علم على جميع البلدة، وهي البلدة المعروفة المعظمة التي يُحَجُّ إليها، وهي غير مصروفة للعَلَمية والتأنيث، وقد سمّاها الله تعالى في القرآن أربعة أسماء: مَكَّة، والبلدة، والقرية، وأم القرى. وقيل في سبب تسميتها -لغوياً- بهذا الإسم عدة أقوال وهي:

١- لقلة ماءها. وذلك أنّهم كانوا يمتلكون الماء فيها، أيْ: يستخرجونه.

٢- إنّها كانت تمُكُّ من ظَلَم فيها، أيْ: تهلكه، وأنشدوا:

يـــا مَكَّــةَ الفــاجرِ مُكّـــي مكّـــا   ولا تمكّـــي مــــذحجاً وعكّـــا

٣- إنّها تمُكُّ الأجسام والذنوب ، أيْ: تفنيها، مثل قولهم: أمْتَكَ الفصيل ما في ضرع أمه، أيْ: أفناه.

٤- إنّها يجهد أهلُها، قال الشيخ الطريحي: ﴿المَكُّ: النقض والهلاك. وسمي البلد الحرام مَكَّةَ لأنّها تنقض الذنوب وتنفيها. أو تَمُكُّ مَن قصدها بالظلم؛ أيْ: تهلكه كما وقع لأصحاب الفيل، أو لقلة الماء بها﴾[٣].

ولمَكَّة شرّفها الله تعالى أسماء كثيرة منها: صلاح، والعرش[٤]، والقادس[٥] لأنّها تطهرّ الذنوب، والمقدسة، والنساسة[٦]، وقيل: الناسة[٧]، والباسة[٨]، لأنّها تبسّ من الحرِّ، أيْ: تحطِّم، وقيل: تبسهم أيْ: تخرجهم، والبيت العتيق، وأمّ رُحم[٩]، وأمّ القرى، والحاطمة، والرأس مثل رأس الإنسان،

---

١ أبعاد الحج في فكر الإمام الخميني قدس سره.

٢ والمقصود من مَكَّة هنا الأعم من منطقة المسجد الحرام بل المقصود منطقة الحرم فتشمل جميع المشاعر وعرفات. ولنتكلم عن كل واحد من أماكن مَكَّة على حدة.

٣ مجمع البحرين ج٥ ص٢٨٩ نشر كتابفروشى مرتضوى - تهران ١٤١٦.

٤ على وزن بدر.

٥ من التقديس وهو التطهير.

٦ بالنون وسينين مهملتين.

٧ بسين واحدة.

٨ بسين واحدة مع الباء.

٩ بضم الراء.

وكُوثى[1]، والمَكوك[2] أيْ: المُدّ، وقيل: الصاع. والأول أشبه لما جاء مفسَّراً بالمُدّ.

ومنه الحديث: ﴿امْرَأَتِي حَلَبَتْ لَبَنَهَا فِي مَكُوكٍ فَأَسْقَتْ جَارِيَتِي﴾[3].

أسرار أسماء مكة

إنّ الشرف العظيم لهذه الأرض وما فيها جعلها محلّ اهتمام الأنبياء والأئمة عليهم السلام، وقبل كل ذلك جعلها الله تعالى محلَّ بيته وعبادته، وقد وردت عدة أسماء لهذه البقعة في الروايات، نذكر رواية في المجال ثم نذكر ما يتعلق ببعض أسماءها حسب ما وصل إلينا من معدن العصمة والطهارة عليهم السلام، فعن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿أَسْمَاءُ مَكَّةَ خَمْسَةٌ: أُمُّ الْقُرَى، وَمَكَّةُ، وَبَكَّةُ، وَالْبَسَّاسَةُ؛ كَانُوا إِذَا ظَلَمُوا بِهَا بَسَّتْهُمْ، أَيْ: أَخْرَجَتْهُمْ وَأَهْلَكَتْهُمْ، وَأُمُّ رُحْمٍ، كَانُوا إِذَا لَزِمُوهَا رُحِمُوا﴾[4]. وفي رواية الشيخ الصدوق: ﴿وَكَانُوا إِذَا ظُلِمُوا رُحِمُوا﴾[5].

والظاهر أنّ أسرار الأسماء هي:

١- مَكَّة: تقدم من الروايات السابقة سرّ اسم مَكَّة ولَعَلَّ أوجهها: من تدفع الظلم؛ بحيث يكون كل من فيها في أمن وأمان من كل عدوٍّ وشيطان، فلا ظلم ولا حيف ولا معصية، قال الإمام الصادق عليه السلام: ﴿لا يَدْخُلُ مَكَّةَ رَجُلٌ بِسَكِينَةٍ إلا غُفِرَ لَهُ﴾[6].

٢- بَكَّة: وجاء هذا الإسم صريحاً في القرآن المجيد، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾[7].

---

١ بضم الكاف وثاء مثلثة: إسم بقعة بها، كانت منزل بني عبد الدار، كذا في كتاب المشارق.

٢ كرسول.

٣ مجمع البحرين ج ٥ ص ٢٨٩.

٤ بحار الأنوار ج٩٦ ص٧٧.

٥ من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٢٥٧.

٦ الكافي ج ٤ ص ٤٠١.

٧ سورة آل عمران: الآية ٩٦.

وقد ذكرت عدة وجوه لهذه التسمية نذكر منها:

أ- بَكَّة: من البَكّ بمعنى الزحام والتدافع، روى الْحَلَبِيِّ قَالَ: قُلْتُ لأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: لِمَ سُمِّيَتْ بَكَّةَ؟ قَالَ: ﴿لأنَّ النَّاسَ يَبُكُّ بَعْضُهُمْ بَعْضاً بِالأَيْدِي﴾[١].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: ﴿إِنَّمَا سُمِّيَتْ مَكَّةُ بَكَّةَ لأَنَّهُ يُبَكُّ بِهَا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ، وَالْمَرْأَةُ تُصَلِّي بَيْنَ يَدَيْكَ وَعَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ يَسَارِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ وَمَعَكَ؛ وَلا بَأْسَ بِذَلِكَ، إِنَّمَا يُكْرَهُ فِي سَائِرِ الْبُلْدَانِ﴾[٢].

ب- بَكَّة: من البكّ بمعنى ضرب الأعناق، وقد روي: ﴿لأَنَّهَا تَبُكُّ أَعْنَاقَ الْبَاغِينَ إِذَا بَغَوْا فِيهَا﴾[٣].

ج- إنَّ بَكَّةَ هو موضع البيت الحرام، وكل المدينة تسمى مَكَّة.

د- بَكَّة: بمعنى البكاء، لأنَّ الناس يبكون في مَكَّة كثيراً فسميت بَكَّة لذلك، ولَعَلَّ هذا المعنى هو الأشهر، فعن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿لِبُكَاءِ النَّاسِ حَوْلَهَا وَفِيهَا﴾[٤]. وأمير المؤمنين عليه السلام يؤكد هذا المعنى ويوضح أنَّ مَكَّة قد أبكت حتى الطغاة ولم يعرفوا البكاء في عمرهم كلّه، قال عليه السلام: ﴿لأنَّهَا بَكَّتْ عُيُونَ الْجَبَّارِينَ وَالْمُذْنِبِينَ﴾[٥].

٣- أم القرى: وهذا الإسم ورد في القرآن الكريم أيضاً، قال تعالى: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[٦]. وسبب تسميتها بهذا الإسم ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿لأَنَّ الأَرْضَ دُحِيَتْ مِنْ تَحْتِهَا﴾[٧].

---

١ المحاسن ج ٢ ص ٣٣٧.

٢ بحار الأنوار ج ٨٠ ص ٣٣٤.

٣ الكافي ج ٤ ص ٢١١.

٤ من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ١٩٣.

٥ بحار الأنوار ج٩٦ ص٨٥.

٦ سورة الشورى: الآية ٧.

٧ من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٢٤١.

بتقريب: إنّ الأم هنا بمعنى المنشأ والمجمع[١] فأمّ القرى إشارة إلى دحو تمام الأرض بجميع مُدُنها وقُراها من تحت الكعبة، والعالم كلُّه من مَكَّة.

٤- البلد: أشار القرآن المجيد إلى هذا الإسم بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾[٢]. والظاهر أنَّ البلد هنا هو بلد الصدر، وبيت الله هو مقام القلب، قال الگنابادي: ﴿لما كان المقيم في بلد الصدر المنشرح بالإسلام، والطائف حول بيت القلب مقيماً للصلاة متوجهاً إلى الله، كان بلد مَكَّة وبيت الكعبة مَظهرَين لهما﴾[٣].

والبلد الذي هو مَكَّة يتصف -بالإضافة لكونه آمناً كما في الآية المزبورة[٤]- بأنَّه بلد أمين لقوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾[٥]. وغير ذلك مما ذكره القرآن المجيد في وصف هذا البلد: ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴾[٦]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[٧].

٥- وادٍ غير ذي زرع: وهو أحد أسماءها الذي ورد ذكره في القرآن الكريم على لسان خليل الله إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ ﴾[٨].

---

١ لفظ أمّ له معانٍ متعددة، لكن المناسب هنا ما ذكرنا.
٢ سورة إبراهيم: الآية ٣٥.
٣ بيان السعادة ج ٢ ص ٣٩٤ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات . بيروت ١٤٠٨.
٤ سورة إبراهيم: الآية ٣٥، وسورة البقرة: الآية ١٢٦.
٥ سورة التين: الآية ٣.
٦ سورة البلد: الآيات١ – ٢ .
٧ سورة النمل: الآية٩١.
٨ سورة إبراهيم: الآية ٣٧.

وهذه الأرض وإنْ سُلب عنها الزرع؛ ولكنها نسبت إلى الوجود الحق، ففيها بيت الله تبارك وتعالى. والظاهر أنَّ المقصود من الوادي الخالي من الزرع هو عالم الطبيعة الصرفة الخالية من المعارف الحقة، التي لا بدَّ أنْ تأخذ وصفاً: فهي إمَا أنْ تنسب إلى الله عز وجل فتبقى الفطرة على سلامتها كما فطرها الله عز وجل، أو أنْ يزرعها بالعلم والمعارف الكسبية، والجمع أولى. أمَا أنْ تبقى بلا نسبة إلى الفاطر أو بدون كسب زرع؛ فهي معدومة حكماً وإنْ لم تُعدم خارجاً.

٦- قريتك (قرية النبي ﷺ): وهذا المعنى مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾[1]. وفي هذا الإسم إشارة إلى نسبة مَكَّة إلى النبي ﷺ ولكنّ أهلها أخرجوه منها فكانت عاقبة أمرهم إلى السوء والخذلان.

٧- القريتان (أحدى القريتين): وهذه التسمية وإنْ جاءت بالتثنية إلا أنَّ المقصود منها قرية واحدة وهي مَكَّة، أيْ من أحدى القريتين بحذف المضاف، والمقصود من القريتين مَكَّة والطائف.

٨- الحرم: المقصود من الحرم هو المكان غير المعين وغير المختص، بمعنى أنّ كل الوجود يكون حرماً لصاحب الحرم (كل العالم محضره تعالى).

والحرم حرمان: ظاهر وباطن، أمّا الظاهر: فهو الكعبة التي هي قبلة المؤمنين وفي وسطه الحرم الباطن؛ الكعبة التي هي علامة نظر الرحمن، فتلك مقصد الزوار وهذه محلّ الأنوار ﴿ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾[3].

---

١ سورة محمد ﷺ: الآية ١٣.

٢ سورة الزمر: الآية ٢٢.

٣ سورة القصص: الآية ٥٧.

٩- بساسة: تقدم معناها عند ذكر الروايات وهي تعني المخُرجة كل من ظلم فيها والمهلكة له.

١٠- أم رُحَم: وهي تعني أنّ مَكّة محل نزول الرحمة الإلهية. ولا مجال فيها للظلم والعدوان.

فضل وعظمة مكة

لا يمكن لأحد إحصاء فضل وعظمة هذه القطعة المقدسة، كيف وقد أقسم بها الله عز وجل في عدة من الآيات مثل: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾[1]. وكذا نسبها الحق تبارك وتعالى إليه ونسب ربوبيته لها قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[2]. وهي أول مكان لعبادة الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[3].

مَكّة محبوبة الله عز وجل بكل تفاصيلها وتمام أجزائها، فعن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿أَحَبُّ الأَرْضِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مَكَّةُ، وَمَا تُرْبَةٌ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ تُرْبَتِهَا، وَلا حَجَرٌ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ حَجَرِهَا، وَلا شَجَرٌ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ شَجَرِهَا، وَلا جِبَالٌ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ جِبَالِهَا، وَلا مَاءٌ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ مَائِهَا﴾[4]. وهي محبوبة رسول الله صلى الله عليه وآله أيضاً حيث قال بها: ﴿وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَيَّ، وَلَوْلا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ﴾[5]. وفي بيان فضل مَكّة يقول الإمام الصادق عليه السلام: ﴿إنّ مَكّة بلد

---

١ سورة التين: الآية ٣.

٢ سورة النمل: الآية ٩١.

٣ سورة آل عمران: الآية ٩٦.

٤ من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٢٤٣.

٥ روضة الواعظين وبصيرة المتعظين (ط- قديمة) ج٢ ص٤٠٦.

عظّمهُ الله وعظمّ حرمتها، خلق مَكّة وحفّها بالملائكة قبل أنْ يخلق شيئاً من الأرض يومئذٍ كلها بألف عالم ووصل المدينة ببيت المقدس، ثم خلق الأرض كلّها بعد ألف عام خلقاً واحداً ﴾[1].

فضل العبادات في مكة

١- الصلاة: عن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿ مَكَّةُ حَرَمُ اللَّهِ، وَحَرَمُ رَسُولِهِ، وَحَرَمُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، الصَّلاةُ فِيهَا بِمِائَةِ أَلْفِ صَلاةٍ، وَالدِّرْهَمُ فِيهَا بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ﴾[2]. وعن الإمام زين العابدين عليه السلام: ﴿ وَمَنْ صَلَّى بِمَكَّةَ سَبْعِينَ رَكْعَةً فَقَرَأَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ بِـ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ ﴾ وَ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ ﴾ وَ (آيَةِ السُّخْرَةِ) وَ (آيَةِ الْكُرْسِيِّ) لَمْ يَمُتْ إلا شَهِيداً ﴾[3].

٢- الصوم: عن النبي صلى الله عليه وآله: ﴿ مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ بِمَكَّةَ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ؛ صِيَامَهُ وَقِيَامَهُ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ مِائَةَ أَلْفِ شَهْرِ رَمَضَانَ فِي غَيْرِ مَكَّةَ، وَكَانَ لَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مَغْفِرَةٌ وَشَفَاعَةٌ، وَبِكُلِّ لَيْلَةٍ مَغْفِرَةٌ وَشَفَاعَةٌ، وَكُلِّ يَوْمٍ حُمْلانُ فَرَسٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَبِكُلِّ يَوْمٍ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، وَكَتَبَ لَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ عِتْقَ رَقَبَةٍ، وَكُلِّ لَيْلَةٍ عِتْقَ رَقَبَةٍ، وَكُلِّ يَوْمٍ حَسَنَةً، وَكُلِّ لَيْلٍ حَسَنَةً، وَكُلِّ يَوْمٍ دَرَجَةً، وَكُلِّ لَيْلَةٍ دَرَجَةً ﴾[4]. وعن الإمام زين العابدين عليه السلام: ﴿ وَالطَّاعِمُ بِمَكَّةَ كَالصَّائِمِ فِيمَا سِوَاهَا وَصِيَامُ يَوْمٍ بِمَكَّةَ يَعْدِلُ صِيَامَ سَنَةٍ فِيمَا سِوَاهَا وَالْمَاشِي بِمَكَّةَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴾[5].

٣- السجود: عن الإمام الباقر عليه السلام: ﴿ السَّاجِدُ بِمَكَّةَ كَالْمُتَشَحِّطِ بِدَمِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾[6].

٤- ختم القرآن: عن الإمام زين العابدين عليه السلام: ﴿ مَنْ خَتَمَ الْقُرْآنَ بِمَكَّةَ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَرَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، وَيَرَى مَنْزِلَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ﴾[7].

---

١ الفردوس بمأثور الخطاب ص ١٨٥.
٢ الكافي ج ٤ ص ٥٨٦.
٣ من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٢٢٧.
٤ بحار الأنوار ج ٩٣ ص ٣٤٩.
٥ من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٢٢٧.
٦ المحاسن ج ١ ص ٦٨.
٧ المصدر السابق ص ٦٩.

٥- التسبيح: عن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿تَسْبِيحٌ بِمَكَّةَ يَعْدِلُ خَرَاجَ الْعِرَاقَيْنِ يُنْفَقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[1].

فضل بعض التقلبات في مكة

١- مجاورة مَكَّة والتردد عليها: عن الإمام الباقر عليه السلام: ﴿مَنْ جَاوَرَ سَنَةً بِمَكَّةَ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذَنْبَهُ وَلأَهْلِ بَيْتِهِ وَلِكُلِّ مَنِ اسْتَغْفَرَ لَهُ وَلِعَشِيرَتِهِ وَلِجِيرَانِهِ ذُنُوبَ تِسْعِ سِنِينَ وَقَدْ مَضَتْ وَعُصِمُوا مِنْ كُلِّ سُوءٍ أَرْبَعِينَ وَمِائَةَ سَنَةٍ. وَالانْصِرَافُ وَالرُّجُوعُ أَفْضَلُ مِنَ الْمُجَاوَرَةِ﴾[2].

٢- النوم في مَكَّة: عن الإمام الباقر عليه السلام: ﴿النَّائِمُ بِمَكَّةَ كَالْمُتَشَحِّطِ فِي الْبُلْدَانِ﴾[3]. وعن الإمام الباقر عليه السلام: ﴿وَالنَّائِمُ بِمَكَّةَ كَالْمُتَهَجِّدِ فِي الْبُلْدَانِ﴾[4].

٣- المرض وتحمل الحر في مَكَّة: عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قال: ﴿مَنْ مَرِضَ يَوْماً بِمَكَّةَ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ عِبَادَةَ سِتِّينَ سَنَةً، وَمَنْ صَبَرَ عَلَى حَرِّ مَكَّةَ سَاعَةً تَبَاعَدَتْ مِنْهُ النَّارُ مَسِيرَةَ مِائَةِ عَامٍ وَتَقَرَّبَتْ مِنْهُ الْجَنَّةُ مَسِيرَةَ مِائَةِ عَامٍ﴾[5].

٤- إماطة الأذى عن الطريق: عن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿مَنْ أَمَاطَ أَذًى عَنْ طَرِيقِ مَكَّةَ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ حَسَنَةً؛ وَمَنْ كَتَبَ لَهُ حَسَنَةً لَمْ يُعَذِّبْهُ﴾[6].

٥- الوفاة والدفن في مَكَّة: عن النبي صلى الله عليه وآله: ﴿مَنْ مَاتَ بِمَكَّةَ فَكَأَنَّمَا مَاتَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا﴾[7].

---

١ المصدر السابق ص ٦٨.
٢ من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٢٢٧.
٣ المحاسن ج ١ ص ٦٨.
٤ من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٢٢٨.
٥ الدعوات (للراوندي) ص ١٧٣.
٦ الكافي ج ٤ ص ٥٤٧.
٧ الدعوات (للراوندي) ص ٢٤١.

سر حدود مكة

من الواضح أنّ لكل مدينة حدّ من جميع الجهات، ومكّة كذلك، والظاهر أنّ حدود مَكّة هو منطقة الحرم[١]، وقد ذكرت أسرار حدود مَكّة في الروايات، مثل ما ورد عن النبي الأكرم ﷺ: ﴿ وَأَنْزَلَ جَبْرَئِيلُ آدَمَ مِنَ الصَّفَا، وَأَنْزَلَ حَوَّاءَ مِنَ الْمَرْوَةِ، وَجَمَعَ بَيْنَهُمَا فِي الْخَيْمَةِ. قَالَ: وَكَانَ عَمُودُ الْخَيْمَةِ قَضِيبَ يَاقُوتٍ أَحْمَرَ. فَأَضَاءَ نُورُهُ وَضَوْؤُهُ جِبَالَ مَكَّةَ وَمَا حَوْلَهَا. قَالَ: وَامْتَدَّ ضَوْءُ الْعَمُودِ. قَالَ: فَهُوَ مَوَاضِعُ الْحَرَمِ الْيَوْمَ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنْ حَيْثُ بَلَغَ ضَوْءُ الْعَمُودِ. قَالَ: فَجَعَلَهُ اللَّهُ حَرَماً لِحُرْمَةِ الْخَيْمَةِ وَالْعَمُودِ لأَنَّهُمَا مِنَ الْجَنَّة ﴾[٢].

دستور رَضَوَي

ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: ﴿ وَانْظُرْ أَيْنَ أَنْتَ؛ فَإِنَّمَا أَنْتَ فِي حَرَمِ اللَّهِ وَسَاحَةِ بِلادِ اللَّهِ، وَهِيَ دَارُ الْعِبَادَةِ: فَوَطِّنْ نَفْسَكَ عَلَى الْعِبَادَةِ، فَإِنَّ الصَّلاةَ وَالصِّيَام وَالصَّدَقَةَ وَأَفْعَالَ الْبِرِّ مُضَاعَفَةٌ، وَالإِثْمَ وَالْمَعْصِيَةَ أَشَدُّ عَذَاباً مُضَاعَفَةٌ فِي غَيْرِهَا، فَمَنْ هَمَّ لِمَعْصِيَةٍ وَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَ عَلَيْهِ سَيِّئَةٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[٣]. وَلَيْسَ ذَلِكَ فِي بَلَدٍ غَيْرِهِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَصْحَابُ الْفِيلَةِ هَدْمَ الْكَعْبَةِ فَعَاقَبَهُمُ اللَّهُ بِإِرَادَتِهِمْ قَبْلَ فِعْلِهِمْ، فَوَطِّنْ نَفْسَكَ عَلَى الْوَرَعِ وَاحْرُزْ لِسَانَكَ؛ فَلا تَنْطِقْ إلا بِمَا لَكَ، وَأَكْثِرْ مِنَ التَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالصَّلاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَافْعَلِ الْخَيْرَ، وَعَلَيْكَ بِصَلاةِ اللَّيْلِ وَطُولِ الْقُنُوتِ وَكَثْرَةِ الطَّوَافِ، إِلَى أَنْ قَالَ: فَإِنْ قَدَرْتَ أَنْ لا تَخْرُجَ مِنْ مَكَّةَ حَتَّى تَخْتِمَ الْقُرْآنَ فَافْعَلْ ﴾[٤].

يقول الملا محسن الفيض الكاشاني: ﴿ وإذا دخل مَكّة فليتذكر عندها أنّه انتهى إلى حرم آمن، وليرجُ عنده أنْ يأمن عقاب الله، وليخش أنْ لا يكون أهلاً للقرب، فيكون بدخول الحرم

---

١ لا يهمنا التعرض إلى الأحكام الفقهية المرتبطة بمكّة القديمة، ومَكّة الحالية الحديثة، فهو أمر موكول إلى محلّه.

٢ الكافي ج ٤ ص ١٩٦.

٣ سورة الحج: الآية ٢٥.

٤ مستدرك الوسائل ج ٩ ص ٣٦٣-٣٦٤.

خائباً مستحقاً للمقت، وليكن رجاؤه في جميع الأوقات غالباً، فإنّ الكرم عميم، وشرف البيت عظيم، وحق الزائر مرعيّ، وذمام المستجير اللائذ غير مضيّع ﴾[1].

المسجد الحرام

حرمة وقداسة المسجد الحرام بلغت درجة من العلوّ أنّها صارت نقطة السير المحمدي في حركته نحو سدرة المنتهى، والمسجد الحرام محل نزول الملائكة، والدعاء فيه مستجاب وهو مدفن الأنبياء وقصر من قصور الجنة، عن أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿ أَرْبَعَةٌ مِنْ قُصُورِ الْجَنَّةِ فِي الدُّنْيَا: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، وَمَسْجِدُ الرَّسُولِ، وَمَسْجِدُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَمَسْجِدُ الْكُوفَةِ ﴾[2].

ولبيان منزلة هذا المسجد نذكر بعض الإشارات:

١- فضيلته: من المعلوم أنَّ حركة السالك تكون في خطين أفقي سيريّ[3]، وعمودي معراجي ومبدأ حركة السير الأرضي تبدأ من المسجد الحرام، كما بدأها أسوة السالكين رسول الله صلى الله عليه وآله، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾[4]. فالمسجد الحرام يكون نقطة انطلاقٍ لكلّ من أراد الطريق والسير إلى الله عز وجل بعد أنْ يؤدي فريضة من الحج شرعاً ومعنىً.

٢- الصلاة فيه: عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: ﴿ الصَّلاةُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ مِائَةُ أَلْفِ صَلاةٍ، وَالصَّلاةُ فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ عَشَرَةُ آلافِ صَلاةٍ، وَالصَّلاةُ فِي مَسْجِدِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ أَلْفُ صَلاةٍ ﴾[5]. وعن الإمام الباقر عليه السلام: ﴿ مَنْ صَلَّى فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ صَلاةً مَكْتُوبَةً قَبِلَ اللَّهُ بِهَا مِنْهُ كُلَّ صَلاةٍ صَلاهَا مُنْذُ يَوْمَ وَجَبَتْ عَلَيْهِ الصَّلاةُ؛ وَكُلَّ صَلاةٍ يُصَلِّيهَا إِلَى أَنْ يَمُوتَ ﴾[6].

---

١ الحقائق ص ٢٨١.

٢ أمالي الطوسي ص ٣٦٩.

٣ إنّما قلنا أنّه سيريّاً وليس إسرائياً لاختصاص الأخير بالنبي محمد صلى الله عليه وآله.

٤ سورة الأسراء: الآية ١.

٥ مستدرك الوسائل ج ٣ ص ٤٣٠-٤٣١.

٦ من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٢٢٨.

وعَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ عَنِ الْكَاهِلِيِّ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَقَالَ: ﴿أَكْثِرُوا مِنَ الصَّلَاةِ وَالدُّعَاءِ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ[1] أَمَا إِنَّ لِكُلِّ عَبْدٍ رِزْقاً يُجَازُ إِلَيْهِ جَوْزاً[2]﴾[3].

٣- مدفن الأنبياء: عن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿دُفِنَ مَا بَيْنَ الرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ وَالْحَجَرِ الأَسْوَدِ سَبْعُونَ نَبِيّاً أَمَاتَهُمُ اللَّهُ جُوعاً وَضُرّاً﴾[4]. وعن الإمام الباقر عليه السلام: ﴿صَلَّى فِي مَسْجِدِ الْخَيْفِ سَبْعُمِائَةِ نَبِيٍّ، وَإِنَّ مَا بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ لَمَشْحُونٌ مِنْ قُبُورِ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ آدَمَ لَفِي حَرَمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[5]﴾[6].

٤- حرمة دخول المشركين فيه: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾[7]. والمراد بالمشركين هنا الأعم من الشرك الجلي والشرك الخفي، فلا يقربنّ المسجد الحرام من كان يعمل لغير الله عز وجل أو يعمل بنية مخلوطة.

٥- أفضل أماكن المسجد الحرام: عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ، قَالَ: قَالَ لَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عليهما السلام: أَيُّ الْبِقَاعِ أَفْضَلُ؟ فَقُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَابْنُ رَسُولِهِ أَعْلَمُ. فَقَالَ: إِنَّ أَفْضَلَ الْبِقَاعِ مَا بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلاً عُمِّرَ مَا عُمِّرَ نُوحٌ فِي قَوْمِهِ ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾[8]، يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ، ثُمَّ لَقِيَ اللَّهَ بِغَيْرِ وَلايَتِنَا، لَمْ يَنْفَعْهُ ذَلِكَ شَيْئاً﴾[9].

---

١ أيْ: مسجد الحرام.

٢ أيْ: يجمع ويساق إليه.

٣ الكافي ج ٤ ص ٥٢٦.

٤ المصدر السابق ص ٢١٤.

٥ أيْ: إنَّه في مكان آخر غير ما نتكلم عنه، وحرم الله حرم أمير المؤمنين عليه السلام.

٦ الكافي ج ٤ ص ٢١٤.

٧ سورة التوبة: الآية ٢٨.

٨ سورة العنكبوت: الآية ١٤.

٩ الأمالي (للطوسي) ص ١٣٢.

الكعبة المشرفة

أقدس وأجلّ بيت على الأرض، وهو النقطة الأولى على الأرض، ورمز دوام الدين، قال الإمام الصادق عليه السلام: ﴿ لا يَزَالُ الدِّينُ قَائِماً مَا قَامَتِ الْكَعْبَة ﴾[1].

يقول الملا محسن الفيض الكاشاني قدس سره: ﴿وإذا وقع بصره على البيت فينبغي أنْ يحضر عنده عظمة البيت في قلبه، ويقدّر كأنّه مشاهد لربِّ البيت لشدة تعظيمه، وليَرْجُ أنْ يرزقه لقاءه كما رزقه لقاء البيت، وليشكر الله على تبليغه إيّاه هذه المرتبة، وإلحاقه إيّاه بزمرة الوافدين إليه﴾[2].

يقول الإمام الخميني قدس سره: ﴿إنَّ الكعبة المعظمة هي المركز الأوحد لتحطيم الأصنام، لقد رفع إبراهيم الخليل نداء التوحيد من هذه الكعبة في أول الزمان، وسيرفعه حبيب الله ولده المهدي العزيز الموعود روحي فداه في آخر الزمان وسيبقى مرفوعاً﴾[3].

أسماء الكعبة المشرفة

١. الكعبة

ورد إسم الكعبة في القرآن الكريم في موضعين: أحدهما قوله تعالى: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾[4]. والأخر قوله تعالى: ﴿ هَدْيًا بَـٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ ﴾[5].

وتوجد ثلاثة أقوال في سبب التسمية:

أ- الكعبة على صورة المربع. ففي اللغة: كل بيت له أربع زوايا يطلق عليه لفظ الكعبة. عن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿ إِنَّمَا سُمِّيَتْ كَعْبَةً لأَنَّهَا مُرَبَّعَةٌ، وَصَارَتْ مُرَبَّعَةً لأَنَّهَا بِحِذَاءِ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَهُوَ مُرَبَّعٌ، وَصَارَ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ مُرَبَّعاً لأَنَّهُ بِحِذَاءِ

---

١ الكافي ج ٤ ص ٢٧١.

٢ الحقائق ص ٢٨١.

٣ أبعاد الحج في فكر الإمام الخميني قدس سره.

٤ سورة المائدة: الآية ٩٧.

٥ سورة المائدة: الآية ٩٥.

الْعَرْشِ وَهُوَ مُرَبَّعٌ، وَصَارَ الْعَرْشُ مُرَبَّعاً لأنَّ الْكَلِمَاتِ الَّتِي بُنِيَ عَلَيْهَا الإِسْلامُ أَرْبَعٌ؛ وَهِيَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ ﴾[١].

ب- الكعبة بمعنى الوسط، فكل ما كان وسطاً يسمى كعبة. ورد في أسئلة اليهودي للنبي ﷺ لأيِّ شيء سميت الكعبة؟ قال النبي ﷺ: ﴿ لأَنَّهَا وَسَطُ الدُّنْيَا ﴾[٢].

ج- الكعبة هو المكان المرتفع عن سطح الأرض. والإرتفاع هنا بكلا لحاظيه الظاهري والمعنوي، ولَعَلَّ لهذا السبب نُهي عن البناء أعلى من الكعبة، عن الإمام الباقر عليه السلام: ﴿ وَلا يَنْبَغِي لأحَدٍ أَنْ يَرْفَعَ بِنَاءً فَوْقَ الْكَعْبَةِ ﴾[٣].

وعلى أيٍّ حال، لا خلاف بين هذه المعاني الثلاثة وإنَّما كل معنى لَحَظَ جانباً منها، فالكعبة ذات أربع زوايا ووسط الدنيا ومرتفع عن الأرض ظاهراً ومعنى.

فرعٌ: الكعبة عند أهل المعنى

الكعبة عبارة عن توجه القلب نحو الله عز وجل ومقام الوصل، وهنا يتوجه العاشق إلى المعشوق، فلا بدَّ أنْ يحرم عما سواه لينال وصل المعشوق.

يقول الشيخ البهائي رحمه الله:

حاجى بره كعبه و من طالب ديدار
او خانه همى جويد و من صاحب خانه[٤]

يعني:

الحاج يذهب إلى الكعب وأنا أطلب اللقاء
هو يبحث عن البيت وأنا أبحث عن صاحب البيت

---

١ من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ١٩٠-١٩١.

٢ الأمالي (للصدوق) ص ١٨٨.

٣ الكافي ج ٤ ص ٢٣٠.

٤ ديوان الشيخ البهائي ص ٧٧.

ويقول:

مقصـــود مـــن از كعبـــه و بتخانـــه تـــوئى تـــو

مقصـــود تـــوئى، كعبـــه و بتخانـــه بهانـــه[١]

يعني:

مقصـــودي مـــن الكعبـــة والمعبـــد أنـــت فقـــط

مقصـــودي أنـــت والكعبـــة والمعبـــد حجـــة أتحجـــج بهـــا

٢ـ البيت العتيق

ذكر هذا الإسم في القرآن الكريم مرتين أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾[٣].

وهناك أخبار متعددة في تفسير معنى العتيق:

أ- العتيق بمعنى الحرّ، وفيه ثلاثة أقوال:

أوّلها: الْحُرُّ من مالكية الناس. بمعنى أنّه لا يملكه أحد، عن أبي حمزة الثمالي قال: قلتُ لأبي جعفر عليه السلام في المسجد الحرام لأيِّ شيء سمّاه الله العتيق؟ فقال: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ بَيْتٍ وَضَعَهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ إِلا لَهُ رَبٌّ وَسُكَّانٌ يَسْكُنُونَهُ غَيْرَ هَذَا الْبَيْتِ فَإِنَّهُ لا رَبَّ لَهُ إِلا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ الْحُرُّ﴾[٤].

وثانيهما: الْحُرُّ من الغرق في طوفان نوح عليه السلام، عن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ أَغْرَقَ الأَرْضَ كُلَّهَا يَوْمَ نُوحٍ إِلا الْبَيْتَ، فَيَوْمَئِذٍ سُمِّيَ الْعَتِيقَ؛ لأَنَّهُ أُعْتِقَ يَوْمَئِذٍ مِنَ الْغَرَقِ﴾[٥].

---

١ المصدر السابق.

٢ سورة الحج: الآية ٢٩.

٣ سورة الحج: الآية ٣٣.

٤ الكافي ج ٤ ص ١٨٩.

٥ علل الشرائع ج ٢ ص ٣٩٩.

وثالثها: الْحُرُّ من جهنم، فقد ورد أنَّ زيارة هذا البيت توجب العتق من جهنم والبراءة من النار فسُمّي بالعتيق[١].

ب- العتيق بمعنى القديم: عن الإمام الباقر عليه السلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَهُ[٢] قَبْلَ الأَرْضِ ثُمَ خَلَقَ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِ، فَدَحَاهَا مِنْ تَحْتِهِ﴾[٣].

٣- البيت المعمور

وهذا الإسم إمّا للكعبة أو لما هي في حذائه كما تقدمت الرواية[٤].

فضل بعض التقلبات في الكعبة:

١- النظر إلى الكعبة: قال الإمام الصادق عليه السلام: ﴿النَّظَرُ إِلَى الْكَعْبَةِ عِبَادَةٌ﴾[٥]، وعنه عليه السلام: ﴿مِنْ أَيْسَرِ مَا يُعْطَى مَنْ يَنْظُرُ إِلَى الْكَعْبَةِ أَنْ يُعْطِيَهُ اللَّهُ بِكُلِّ نَظْرَةٍ حَسَنَةً وَتُمْحَى عَنْهُ سَيِّئَةٌ وَتُرْفَعُ لَهُ دَرَجَةٌ﴾[٦].

٢- الدخول في الكعبة: عن الإمام الباقر عليه السلام: ﴿الدُّخُولُ فِيهَا دُخُولٌ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ وَالْخُرُوجُ مِنْهَا خُرُوجٌ مِنَ الذُّنُوبِ مَعْصُومٌ فِيمَا بَقِيَ مِنْ عُمُرِهِ مَغْفُورٌ لَهُ مَا سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِهِ﴾[٧]. وعنه عليه السلام: ﴿الدَّاخِلُ الْكَعْبَةَ يَدْخُلُ وَاللَّهُ رَاضٍ عَنْهُ وَيَخْرُجُ عُطُلاً مِنَ الذُّنُوبِ﴾[٨].

---

١ التفسير الكبير ج ٨ ص ١٥٨.

٢ أيْ: البيت.

٣ الكافي ج ٤ ص ١٨٩.

٤ من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ١٩٠-١٩١.

٥ وسائل الشيعة ج١٣ ص٢٦٣.

٦ المصدر السابق ص٢٦٥.

٧ المصدر السابق ص٢٧٢.

٨ المصدر السابق.

٣- تقبيل الكعبة: إنَّ الداخل إلى المسجد الحرام عندما يتجلى له بهاء وجلال وعظمة الكعبة يسرع إليها ليلثِم أحجارها الصلبة لتسري رقيقةُ معناها إلى باطنه فتناغم روحَه ونفسَه وعقلَه.

يقول سعدي:

جامــه كعبــه را كــه ميبوســند او نــه از كــرم پيلــه نــامى شــد
بــا عزيــزى نشســت روزى چنــد لاجــرم همچــو او گرامــى شــد[1]

يعني:

أولئــك الــذين يُقَبِّلــون ســتار الكعبــة
لا لأنّــه مــن حريــر القــزّ
إنَّ هــذا الحريــر جلــس مــع عزيــزٍ لوقــت
ولا جــرم أنّــه صــار مثلــه محترمــاً

٤- الصلاة إلى الكعبة صلاة إلى السماء: من المعلوم أنّ المسلمين تتوجه أبدانهم ووجوههم وقلوبهم نحو البيت الحرام حال الصلاة بل في كل حال إلا ما استثناه الشرع الأقدس[2]، والذي نريد أنْ نقوله هو أنّ التوجه إنّما يكون لهذا البيت ولما بأزاءه وحذائه إلى السماوات السبع، قال الإمام الصادق عليه السلام: ﴿إِنَّهَا قِبْلَةٌ مِنْ مَوْضِعِهَا إِلَى السَّمَاءِ﴾[3].

الحجر الأسود

الحجر الأسود هو ذلك الموضع الموجود على أحد أركان البيت الحرام، وذلك الركن معروف به.

---

١ ديوان سعدي/ گلستان باب هفتم.

٢ كالتخلي والمواقعة.

٣ وسائل الشيعة ج٤ ص٣٣٩.

ولبيان حقيقته نذكر نقاطاً:

١- الحجر من الجنة.

الحجر الأسود جاء من الجنة ولم يكن له أيّ صفة من صفات هذا العالم، لذا فاستلامه الذي ورد في الروايات له أهمية كبيرة كما سيبين. عن النبي الأكرم ﷺ: ﴿الْحَجَرُ الأَسْوَدُ مِنَ الْجَنَّةِ﴾[١]. وفي سؤال المنذر الثوري للإمام الباقر عليه السلام حول الحجر الأسود، قال عليه السلام: ﴿نزلت ثلاثة أحجار من الجنة: الحجر الأسود استودعه إبراهيم، و مقام إبراهيم وحجر بني إسرائيل قال أبو جعفر: إنّ الله استودع إبراهيم الحجر الأبيض وكان أشدّ بياضاً من القراطيس فاسودَّ من خطايا بني آدم﴾[٢].

دلا از خانـــهٔ خـــاکی ســـفر کـــن | بـه بیـت یـار افلاکـی نظـر کـن
گـــذر از لعـــل و یـــاقوت و زمـــرّد | بســنده بــر تماشــای حجــر کــن

يعني:

يــا قلــب: ســافر مــن بيــت التــراب | وانظــر إلــى بيــت الحبيــب الأفلاكــي
إتــرك اللعــلّ واليــاقوت والزمــرد | واختــرْ النظــر إلــى الحجــر فقــط

٢- حضور الحجر في الجنة.

الحجر الذي جاء من الجنة لا بدَّ أنْ يرجع إلى الجنة، بل إنّه سيكون أحد الشهود في القيامة والجنة، وهذا الحجر وفيٌّ، فإنَّ كلَّ من يلمسه في الدنيا يشهد له في الآخرة، فالدعاء والعهد الذي يُتلى عند المرور على الحجر تطالب به، فالتفت إلى عدم نقضه.

عن النبي الأكرم ﷺ: ﴿يبعث الله الحجر الأسود والركن اليماني يوم القيامة ولهما عينان ولسان وشفتان، يشهدان لمن استلمهما بالوفاء﴾[٣].

---

١ سنن النسائي ج٥ ص٢٢٦ ط دار المعرفة بيروت ١٤١٤.

٢ تفسير العياشي ج١ ص ٥٩.

٣ الترغيب والترهيب ج ٢ ص ١٩٤.

٣- عِلّة سواد الحجر.

ذكرنا في رواية متقدمة أنَّ الحجر كان أبيضاً، ولكّنه اسوَدَّ من الذنوب؛ إمّا ذنوب المشركين أيام الجاهلية[1]. أو من ذنوب العصاة والمنافقين، عن الإمام الصادق(عليه السلام): ﴿إِنَّ الأَرْوَاحَ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا فِي الْمِيثَاقِ ائْتَلَفَ هَاهُنَا، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا فِي الْمِيثَاقِ هُوَ فِي هَذَا الْحَجَرِ الأَسْوَدِ، أَمَا وَاللَّهِ إِنَّ لَهُ لَعَيْنَيْنِ وَأُذُنَيْنِ وَفَماً وَلِسَاناً ذَلْقاً، وَلَقَدْ كَانَ أَشَدَّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ وَلَكِنَّ الْمُجْرِمِينَ يَسْتَلِمُونَهُ وَالْمُنَافِقِينَ؛ فَبَلَغَ كَمِثْلِ مَا تَرَوْن﴾[2].

٤- حجر الميثاق.

ذكرنا أنَّ الحاج يقطع عهده عند مروره على الحجر عند مسحه، وهذه سُنّةٌ نُقلت عن المعصومين (عليهم السلام).

عن الإمام الصادق (عليه السلام): ﴿فَلَمَّا نَظَرَ آدَمُ مِنَ الصَّفَا وَقَدْ وُضِعَ الْحَجَرُ فِي الرُّكْنِ كَبَّرَ اللَّهَ وَهَلَّلَهُ وَمَجَّدَهُ، فَلِذَلِكَ جَرَتِ السُّنَّةُ بِالتَّكْبِير﴾[3].

والأوجه في كون الحجر عهداً وميثاقاً ثلاثة:

أ- إنَّ الحجر حجر الميثاق من عالم ألست. ويدل عليه ما عن الإمام الباقر (عليه السلام): ﴿وَالْحَجَرُ كَالْمِيثَاقِ، وَاسْتِلامُهُ كَالْبَيْعَةِ، وَكَانَ إِذَا اسْتَلَمَهُ قَالَ اللَّهُمَّ أَمَانَتِي أَدَّيْتُهَا وَمِيثَاقِي تَعَاهَدْتُهُ لِيَشْهَدَ لِي عِنْدَكَ بِالْبَلاغ﴾[4].

وتفصيل الحكمة في ذلك ما عن الإمام الصادق (عليه السلام): ﴿فَافْهَمِ الْجَوَابَ وَفَرِّغْ قَلْبَكَ وَأَصْغِ سَمْعَكَ أُخْبِرْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَضَعَ الْحَجَرَ الأَسْوَدَ وَهِيَ جَوْهَرَةٌ أُخْرِجَتْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَى آدَمَ (عليه السلام)، فَوُضِعَتْ فِي ذَلِكَ الرُّكْنِ لِعِلَّةِ الْمِيثَاقِ،

---

١ المصدر السابق.

٢ علل الشرائع ج٢ ص٤٢٦.

٣ الكافي ج ٤ ص ١٨٦.

٤ مستدرك الوسائل ج ٩ ص ٣٨١.

وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا أَخَذَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ حِينَ أَخَذَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ، وَفِي ذَلِكَ الْمَكَانِ تَرَاءَى لَهُمْ، وَمِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ يَهْبِطُ الطَّيْرُ عَلَى الْقَائِمِ عليه السلام، فَأَوَّلُ مَنْ يُبَايِعُهُ ذَلِكَ الطَّائِرُ وَهُوَ وَاللَّهِ جَبْرَئِيلُ عليه السلام، وَإِلَى ذَلِكَ الْمَقَامِ يُسْنِدُ الْقَائِمُ ظَهْرَهُ، وَهُوَ الْحُجَّةُ وَالدَّلِيلُ عَلَى الْقَائِمِ، وَهُوَ الشَّاهِدُ لِمَنْ وَافَاهُ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ، وَالشَّاهِدُ عَلَى مَنْ أَدَّى إِلَيْهِ الْمِيثَاقَ وَالْعَهْدَ الَّذِي أَخَذَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْعِبَادِ، وَأَمَّا الْقُبْلَةُ وَالاسْتِلامُ فَلِعِلَّةِ الْعَهْدِ تَجْدِيداً لِذَلِكَ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ، وَتَجْدِيداً لِلْبَيْعَةِ لِيُؤَدُّوا إِلَيْهِ الْعَهْدَ الَّذِي أَخَذَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي الْمِيثَاقِ، فَيَأْتُوهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ وَيُؤَدُّوا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْعَهْدَ وَالأَمَانَةَ اللَّذَيْنِ أُخِذَا عَلَيْهِمْ، أَلا تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ: أَمَانَتِي أَدَّيْتُهَا وَمِيثَاقِي تَعَاهَدْتُهُ لِتَشْهَدَ لِي بِالْمُوَافَاةِ﴾[1]. لذا لا بدَّ للناسك عند استلام الحجر أنْ يستذكر هذه المعاني ويستحضر حاله عندما واثق الله عز وجل بالربوبية.

يقول الإمام الخميني قدس سره: ﴿حين تلمسون الحجر الأسود أعقدوا البيعة مع الله أنْ تكونوا أعداءً لأعداء الله ورسوله والصالحين والأحرار، ومطيعين وعبيداً لله أينما كنتم وكيفما كنتم.

لا تحنوا رؤوسكم، واطردوا الخوف من قلوبكم، واعلموا أنَّ أعداء الله وعلى رأسهم الشيطان الأكبر جبناء﴾[2].

ب- المصافحة مع الله عز وجل، فقد جاء في بعض الروايات أنَّ الحجر يمين الله تعالى، فالحجر الأسود يكون يد الله في حرم الله، وكل من يلمس الحجر فقد لمس يد الله تعالى وصافحها، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿الحجر يمين الله في أرضه فمن مسحه مسح يد الله﴾[3]، وقال صلى الله عليه وآله: ﴿الحجر في الأرض يصافح به عباده﴾[4]، وعنه صلى الله عليه وآله:

---

١ الكافي ج ٤ ص ١٨٤-١٨٥.

٢ أبعاد الحج في فكر الإمام الخميني قدس سره.

٣ جامع الأحاديث للقمي ص ٧١.

٤ الفردوس بمأثور الخطاب ج٢ ص ١٥٩ ،شيرويه بن شهردار الديلمي الهمداني، نشر دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٦.

﴿الحجر يمين الله في الأرض، فمن مسح يده على الحجر فقد بايع الله أنْ لا يعصيه﴾[1] وعنه ﷺ: ﴿الْحَجَرُ يَمِينُ اللَّهِ؛ فَمَنْ شَاءَ صَافَحَهُ بِهَا﴾[2]، وفي خطاب الإمام السجاد عليه السلام للشبلي: ﴿صَافَحْتَ الْحَجَرَ ووَقَفْتَ بِمَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام وصَلَّيْتَ بِهِ رَكْعَتَيْنِ؟ قال: نَعَمْ. فَصَاحَ عليه السلام صَيْحَةً كَادَ يُفَارِقُ الدُّنْيَا. ثُمَّ قال: آهِ آهِ. ثُمَّ قال عليه السلام: مَنْ صَافَحَ الْحَجَرَ الأَسْوَدَ فَقَدْ صَافَحَ اللَّهَ تَعَالَى، فَانْظُرْ يَا مِسْكِينُ لا تُضَيِّعْ أَجْرَ مَا عَظُمَ حُرْمَتُهُ وتَنْقُضِ الْمُصَافَحَةَ بِالْمُخَالَفَةِ وقَبْضِ الْحَرَامِ نَظِيرَ أَهْلِ الآثَامِ﴾[3].

حجـــــر را اســــــتلامى چنـــــد كـــــردم
وجـــــودم را رهــــا از بنـــــد كـــــردم
نهـــادم دســـت بيعـــت در كـــف دوســـت
دوبــــاره زنــــده آن پيونــــد كـــــردم

يعني:

كـــم قـــد اســـتلمت الحجـــر
وقـــد حـــررت وجـــودي مـــن القيـــد
وضـــعتُ يـــد البيعـــة فـــي كـــفّ الحبيـــب
فأحييـــت تلـــك البيعـــة مـــرة أخـــرى

ج- القلب والحجر: إنَّ الناسك يبدأ الطواف من الحجر الأسود ويضع جهته اليسرى محاذية للحجر الأسود، وهذا يعني أنَّ القلب يحاذي الحجر، بمعنى أنَّ الناسك قد سيطر على نفسه من كلا الجانبين، لأنَّ الشيطان إذا أراد أنْ يدخل إلى الإنسان يدخله من الجهة اليسرى؛ والحال أنَّ الجهة اليسرى إلى الحجر الذي هو يمين الله تعالى، أمّا يمين الناسك فمحفوفٌ ومحفوظٌ بالملائكة.

---

١ كنز العمال ج١٢ ص٢١٨.

٢ المجازات النبوية ص٣٩٤.

٣ مستدرك الوسائل ج١٠ ص١٦٨.

د- تقبيل الحجر: عن أحد الباقرين عليهما السلام: أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ تَقْبِيلِ الْحَجَرِ؟ فَقَالَ: ﴿إِنَّ الْحَجَرَ كَانَ دُرَّةً بَيْضَاءَ فِي الْجَنَّةِ وَكَانَ آدَمُ يَرَاهَا، فَلَمَّا أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى الأَرْضِ نَزَلَ إِلَيْهَا آدَمُ عليه السلام فَبَادَرَ فَقَبَّلَهَا عليه السلام، فَأَجْرَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِذَلِكَ السُّنَّةَ﴾[1].

٥- إنَّه ينفع ويضر:

عَنْ أَبِي الْمُفَضَّلِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو نَصْرٍ لَيْثُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ نَصْرِ بْنِ اللَّيْثِ الْبَلْخِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ مُزَاحِمٍ الْهَرَوِيُّ، سَنَةَ إِحْدَى وسِتِّينَ ومِائَتَيْنِ، قَالَ: حَدَّثَنِي خَالِي عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ صَالِحٍ أَبُو الصَّلْتِ الْهَرَوِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ الْعَمِّيُّ الْبَصْرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو هَارُونَ الْعَبْدِيُّ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: حَجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي إِمْرَتِهِ، فَلَمَّا افْتَتَحَ الطَّوَافَ حَاذَى الْحَجَرَ الأَسْوَدَ، ومَرَّ فَاسْتَلَمَهُ وقَبَّلَهُ، وقَالَ: أُقَبِّلُكَ وإِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لا تَضُرُّ ولا تَنْفَعُ، ولَكِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بِكَ حَفِيّاً، ولَوْلا أَنِّي رَأَيْتُهُ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ. قَالَ: وكَانَ فِي الْحَجِيجِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، فَقَالَ: ﴿بَلَى واللَّهِ إِنَّهُ لَيَضُرُّ ويَنْفَعُ. قَالَ: فَبِمَ قُلْتَ ذَلِكَ يَا أَبَا الْحَسَنِ؟ قَالَ: بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى. قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ لَذُو عِلْمٍ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، فَأَيْنَ ذَلِكَ مِنَ الْكِتَابِ؟ قَالَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾[2]، وأُخْبِرُكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا خَلَقَ آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَ ذُرِّيَّتَهُ مِنْ صُلْبِهِ فِي هَيْئَةِ الذَّرِّ، فَأَلْزَمَهُمُ الْعَقْلَ، وقَرَّرَهُمْ أَنَّهُ الرَّبُّ وأَنَّهُمُ الْعَبِيدُ، فَأَقَرُّوا لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْعُبُودِيَّةِ، واللَّهُ عَزَّ وجَلَّ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ فِي ذَلِكَ فِي مَنَازِلَ مُخْتَلِفَةٍ، فَكَتَبَ أَسْمَاءَ عَبِيدِهِ فِي رَقٍّ، وكَانَ لِهَذَا الْحَجَرِ يَوْمَئِذٍ عَيْنَانِ وشَفَتَانِ ولِسَانٌ، فَقَالَ: افْتَحْ فَاكَ، فَفَتَحَ فَاهُ فَأَلْقَمَهُ ذَلِكَ الرَّقَّ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: اشْهَدْ لِمَنْ وَافَاكَ بِالْمُوَافَاةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَمَّا هَبَطَ آدَمُ عليه السلام هَبَطَ والْحَجَرُ مَعَهُ، فَجَعَلَ فِي مَوْضِعِهِ الَّذِي تَرَى مِنْ هَذَا الرُّكْنِ، وكَانَتِ الْمَلَائِكَةُ تَحُجُّ هَذَا الْبَيْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ تَعَالَى آدَمَ عليه السلام، ثُمَّ حَجَّهُ آدَمُ، ثُمَّ

---

١ المحاسن ج٢ ص٣٣٧.

٢ سورة الأعراف: الآية ١٧٢.

نُوحٌ مِنْ بَعْدِهِ، ثُمَّ هُدِمَ الْبَيْتُ ودُرِسَتْ قَوَاعِدُهُ، فَاسْتُودِعَ الْحَجَرُ مِنْ أَبِي قُبَيْسٍ، فَلَمَّا أَعَادَ إِبْرَاهِيمُ وإِسْمَاعِيلُ بِنَاءَ الْبَيْتِ وبِنَاءَ قَوَاعِدِهِ، واسْتَخْرَجَا الْحَجَرَ مِنْ أَبِي قُبَيْسٍ بِوَحْيٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ، فَجَعَلاهُ بِحَيْثُ هُوَ الْيَوْمَ مِنْ هَذَا الرُّكْنِ، وهُوَ مِنْ حِجَارَةِ الْجَنَّةِ، وكَانَ لَمَّا أُنْزِلَ فِي مِثْلِ لَوْنِ الدُّرِّ وبَيَاضِهِ، وصَفَاءِ الْيَاقُوتِ وضِيَائِهِ، فَسَوَّدَتْهُ أَيْدِي الْكُفَّارِ ومَنْ كَانَ يَلْمِسُهُ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ بِعَتَائِرِهِمْ[١] . قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: لا عِشْتُ فِي أُمَّةٍ لَسْتَ فِيهَا يَا أَبَا الْحَسَنِ ﴾[٢].

٦- الرفق بالحجر وبالمستلمين:

عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى عَنْ سَيْفٍ التَّمَّارِ قَالَ: قُلْتُ لأَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: أَتَيْتُ الْحَجَرَ الأَسْوَدَ فَوَجَدْتُ عَلَيْهِ زِحَاماً، فَلَمْ أَلْقَ إِلا رَجُلاً مِنْ أَصْحَابِنَا، فَسَأَلْتُهُ؟ فَقَالَ: ﴿ لا بُدَّ مِنِ اسْتِلامِهِ فَقَالَ إِنْ وَجَدْتَهُ خَالِياً وَإِلا فَسَلِّمْ مِنْ بَعِيدٍ ﴾[٣].

كَانَ بِمَكَّةَ رَجُلٌ مَوْلًى لِبَنِي أُمَيَّةَ يُقَالُ لَهُ ابْنُ أَبِي عَوَانَةَ لَهُ عِنَادَةٌ، وكَانَ إِذَا دَخَلَ إِلَى مَكَّةَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ أَوْ أَحَدٌ مِنْ أَشْيَاخِ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ يَعْبَثُ بِهِ وإِنَّهُ أَتَى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ﷺ وهُوَ فِي الطَّوَافِ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا تَقُولُ فِي اسْتِلامِ الْحَجَرِ؟ فَقَالَ: ﴿اسْتَلَمَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: مَا أَرَاكَ اسْتَلَمْتَهُ؟ قَالَ: أَكْرَهُ أَنْ أُوذِيَ ضَعِيفاً أَوْ أَتَأَذَّى، قَالَ: فَقَالَ: قَدْ زَعَمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَلَمَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ ولَكِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَأَوْهُ عَرَفُوا لَهُ حَقَّهُ وأَنَا فَلا يَعْرِفُونَ لِي حَقِّي ﴾[٤].

الملتزم

ويقال عنه المتعوّذ والمدعي، ويقع بين باب الكعبة وركن الحجر الأسود، وفضلُه وأسرارُه تبين من خلال النقاط التالية:

---

١ العتائر: جمع عتيرة وهي شاة يذبحها أهل الجاهلية في رجب يتقربون بها للأصنام فيصبوا دمها على رأس الصنم.

٢ الأمالي (للطوسي) ص ٤٧٦ ـ ٤٧٧.

٣ الكافي ج٤ ص٤٠٥.

٤ المصدر السابق ص٤٠٩.

١- عنده نهر من الجنة:

عَنْ يُونُسَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) عَنِ الْمُلْتَزَمِ لأيِ شَيْءٍ يُلْتَزَمُ وأَيُّ شَيْءٍ يُذْكَرُ فِيهِ؟ فَقَالَ: ﴿ عِنْدَهُ نَهَرٌ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ تُلْقَى فِيهِ أَعْمَالُ الْعِبَادِ عِنْدَ كُلِّ خَمِيسٍ ﴾[١].

٢- المغفرة بشرط الإقرار:

جرت عادة الحجاج على ما قرأوه في الروايات من وضع اليد على الملتزم والإقرار بالذنب لطلب المغفرة. ومُستند هذا قول الصادق (عليه السلام): ﴿ لَمَّا طَافَ آدَمُ بِالْبَيْتِ وانْتَهَى إِلَى الْمُلْتَزَمِ قَالَ لَهُ جَبْرَئِيلُ (عليه السلام): يَا آدَمُ أَقِرَّ لِرَبِّكَ بِذُنُوبِكَ فِي هَذَا الْمَكَانِ. قَالَ: فَوَقَفَ آدَمُ (عليه السلام) فَقَالَ: يَا رَبِّ إِنَّ لِكُلِّ عَامِلٍ أَجْراً وقَدْ عَمِلْتُ فَمَا أَجْرِي؟ فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ إِلَيْهِ: يَا آدَمُ قَدْ غَفَرْتُ ذَنْبَكَ. قَالَ: يَا رَبِّ ولِوُلْدِي أَوْ لِذُرِّيَّتِي؟ فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ إِلَيْهِ: يَا آدَمُ مَنْ جَاءَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ وأَقَرَّ بِذُنُوبِهِ وتَابَ كَمَا تُبْتَ ثُمَّ اسْتَغْفَرَ غَفَرْتُ له ﴾[٢]. وعنه (عليه السلام): ﴿ إِنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ إِذَا أَتَى الْمُلْتَزَمَ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ عِنْدِي أَفْوَاجاً مِنْ ذُنُوبٍ وأَفْوَاجاً مِنْ خَطَايَا، وعِنْدَكَ أَفْوَاجٌ مِنْ رَحْمَةٍ وأَفْوَاجٌ مِنْ مَغْفِرَةٍ، يَا مَنِ اسْتَجَابَ لأَبْغَضِ خَلْقِهِ إِلَيْهِ إِذْ ﴿ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [٣]، اسْتَجِبْ لِي وافْعَلْ بِي كَذَا وكَذَا ﴾[٤].

٣- نظرة منه تعالى:

إنَّ التزام الملتزم والدعاء عنده يعني استجابة الدعاء والكون تحت نظر الحق تبارك وتعالى، لأنَّ الإجابة في هذا المكان قطعية، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ﴿ما دعا أحدٌ بشيء في هذا الملتزم إلا استجيب له ﴾[٥].

---

١ المصدر السابق ص٥٢٥.

٢ المصدر السابق ص١٩٤.

٣ سورة الأعراف: الآية ١٤.

٤ تفسير العياشي ج٢ ص٢٤١.

٥ الفردوس ج ٤ ص ٩٤.

کنـــــار ملتـــــزم خوانـــــدم دعـــــایی
شـــنیدم ناگهـــان بانـــگ رســـایی
نـــدا آمـــد کـــه مـــن پـــیش تـــو هســـتم
تـــو ای مســـکین گـــم گشـــته کجـــایی؟

یعني:

قـــرأتُ دعـــاءاً بجـــوار الملتـــزم سـمعت فجـأة صـوتاً كـاملاً
جـــاء نـــداء: إنَّنـــي عنـــدك أيـن أنـت أيهـا المسـكين التائـه؟

الحطيم

الحطيم جزء من المسجد الحرام يشكل مثلثاً من الملتزم مع مقام إبراهيم عليه السلام، فهو بين المقام وركن الحجر وباب الكعبة، وهذه القطعة عادةً تكون في زحام مستمر، ولَعَلَّ أحد أسباب تسميته بالحطيم هو تصادم الناس فما بينهم من شدة الزحام فيه، أو كما نُقل من أنَّه تتحطم عنه الذنوب. ومن أسراره:

١- إنَّه محلُّ إمامة جبرائيل عليه السلام.

في هذا المكان أُقيمت جماعة من إثنين الإمام والمأموم، المأموم كان النبي صلى الله عليه وآله والإمام كان جبرائيل الأمين ملاك الوحي المبين، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿أمَّني جبرائيل عند باب الكعبة مرتين﴾[1].

٢- توبة آدم

عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي الْبِلادِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو بِلالٍ الْمَكِّيُّ قَالَ: رَأَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام طَافَ بِالْبَيْتِ ثُمَّ صَلَّى فِيمَا بَيْنَ الْبَابِ وَالْحَجَرِ الأسْوَدِ رَكْعَتَيْنِ فَقُلْتُ لَهُ: مَا رَأَيْتُ أَحَداً مِنْكُمْ صَلَّى فِي هَذَا الْمَوْضِعِ؟ فَقَالَ: ﴿هَذَا الْمَكَانُ الَّذِي تِيبَ عَلَى آدَمَ فِيهِ﴾[2].

١ أخبار مَكَّة، محمد بن عبد الله الازرقي دار الأندلس بيروت ١٤١١.

٢ الكافي ج٤ ص١٩٤.

الركن اليماني

هو آخر ركن من الكعبة ينتهي إليه الطائف، وهو مكان مقدس وكان النبي ﷺ يستلمه هو وركن الحجر فقط دون سائر الأركان ومن أسراره أنّه:

١- محل الملائكة

عن عطاء بن أبي رباح عن النبي الأكرم ﷺ: ﴿وكّلَ به سبعون ملكاً﴾[١] وهؤلاء الملائكة يؤمنون على دعاء المؤمنين.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿إِنَّ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ -يَعْنِي حِينَ يَجُوزُ الرُّكْنَ الْيَمَانِيَّ- مَلَكاً أُعْطِيَ سَمَاعَ أَهْلِ الأَرْضِ، فَمَنْ صَلَّى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ يَبْلُغُهُ أَبْلَغَهُ إِيَّاهُ﴾[٢]، وعن النبي الأكرم ﷺ: ﴿ما أتيت عليه قط إلا وجبرائيل قائم عنده يستغفر لمن استلمه﴾[٣].

٢- باب الجنة

عن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿الرُّكْنُ الْيَمَانِيُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ لَمْ يُغْلِقْهُ اللَّهُ مُنْذُ فَتَحَه﴾[٤].

وعنه عليه السلام: ﴿الرُّكْنُ الْيَمَانِيُّ بَابُنَا الَّذِي نَدْخُلُ مِنْهُ الْجَنَّةَ﴾[٥].

مقام جبرائيل عليه السلام.

ويقع على الضلع الذي بين الركن العراقي والشامي تحت الميزاب داخل حِجر إسماعيل عليه السلام حيث تشرّف جبرائيل عليه السلام في هذا المكان بخدمة النبي ﷺ والدخول عليه ﷺ، عن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿مَقَامَ جَبْرَئِيلَ عليه السلام وَهُوَ تَحْتَ الْمِيزَابِ فَإِنَّهُ كَانَ مَكَانَهُ إِذَا اسْتَأْذَنَ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ عليه السلام﴾[٦]، وقد ذكرنا أنَّ هذا المكان يقع تحت ميزاب الذهب، وقد ورد أنّ ماء هذا

١ سنن ابن ماجة ج ٢ ص٩٨٥.

٢ الكافي ج٤ ص٤٠٩.

٣ أخبار مكّة ج١ ص٣٣٨.

٤ الكافي ج٤ ص٤٠٩.

٥ من لا يحضره الفقيه ج٢ ص٢٠٨.

٦ الكافي ج٤ ص٤٥٢.

الميزاب يشفي المريض[١]، كما أنّ هناك توصيات بإكثار الصلاة والدعاء في الحِجر وبالتحديد تحت الميزاب، فعن الإمام الرضا عليه السلام: ﴿أَكْثِرِ الصَّلاةَ فِي الْحِجْرِ، وَتَعَمَّدْ تَحْتَ الْمِيزَابِ، وَادْعُ عِنْدَهُ كَثِيراً﴾[٢].

قد وردت نصوص كثيرة أيضاً في أنّ دواء المرض الشديد هو ماء المطر الجاري من هذا الميزاب المبارك، عَنْ مُصَادِفٍ قَالَ: اشْتَكَى رَجُلٌ مِنْ إِخْوَانِنَا بِمَكَّةَ حَتَّى سَقَطَ لِلْمَوْتِ، فَلَقِينَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي الطَّرِيقِ فَقَالَ: ﴿يَا مُصَادِفُ مَا فَعَلَ فُلانٌ؟ قُلْتُ: تَرَكْتُهُ بِالْمَوْتِ جُعِلْتُ فِدَاكَ. فَقَالَ: أَمَا لَوْ كُنْتُ مَكَانَكُمْ لَسَقَيْتُهُ مِنْ مَاءِ الْمِيزَابِ. فَطَلَبْنَا عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ فَلَمْ نَجِدْهُ، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذَا ارْتَفَعَتْ سَحَابَةٌ فَأَرْعَدَتْ وَأَبْرَقَتْ وَأَمْطَرَتْ، فَجِئْتُ إِلَى بَعْضِ مَنْ فِي الْمَسْجِدِ فَأَعْطَيْتُهُ دِرْهَماً وَأَخَذْتُ قَدَحَهُ، ثُمَّ أَخَذْتُ مِنْ مَاءِ الْمِيزَابِ فَأَتَيْتُهُ بِهِ وَسَقَيْتُهُ مِنْهُ، وَلَمْ أَبْرَحْ مِنْ عِنْدِهِ حَتَّى شَرِبَ سَوِيقاً وَصَلَحَ وَبَرَأَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾[٣].

المستجار

عندما بنى إبراهيم عليه السلام الكعبة جعل لها بابان؛ أحدهما من الشرق والآخر من الغرب، والموجود حالياً هو الباب من جهة الشرق، أمّا الباب الغربي فقد بُني وعلامة بنائه الآن واضحة لمن نظر خلف الستار إنْ أراد أنْ يراه كاملاً، وإلا فيمكن رؤيته من أسفل الستار أيضاً. وهو الذي يسمى بـ (المستجار)، وعند المستجار شق جدار الكعبة في يوم ولادة علي عليه السلام للسيدة المكرّمة فاطمة بنت أسد عليها السلام، وقد أشرنا في أول هذه المرقومة إلى ارتباط البيت الحرام بأمير المؤمنين عليه السلام، ونؤكد ما أشرنا إليه هنا في قصة ولادته عليه السلام في البيت الحرام، وفي مقام الربط بين علي عليه السلام والبيت الحرام يقول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: ﴿مَثَلُ عَلِيٍ فِيكُمْ -أَوْ قَالَ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ- كَمَثَلِ الْكَعْبَةِ الْمَسْتُورَةِ؛ النَّظَرُ إِلَيْهَا عِبَادَةٌ، وَالْحَجُّ إِلَيْهَا فَرِيضَةٌ﴾[٤]. وعنه صلى الله عليه وآله في

---

١ بحار الأنوار ج ٥٩ ص ٢٨٦.

٢ المصدر السابق ج٩٦ ص٢٣٠.

٣ الكافي ج٦ ص٣٨٧.

٤ مناقب آل أبي طالب ج٣ ص٢٠٢.

قوله لأمير المؤمنين عليه السلام: ﴿يَا عَلِيُّ أَنْتَ بِمَنْزِلَةِ الْكَعْبَةِ تُؤْتَى ولا تَأتِي﴾[١]. وعنه صلى الله عليه وآله: ﴿مَثَلُهُ كَمَثَلِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ يُزَارُ وَلا يَزُورُ﴾[٢]. وعنه صلى الله عليه وآله في خطابه لأمير المؤمنين عليه السلام: ﴿إِنَّمَا مَثَلُكَ فِي الأمَّةِ مَثَلُ الْكَعْبَةِ الَّتِي نَصَبَهَا اللَّهُ عَلَماً، وَإِنَّمَا تُؤْتَى مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ وَنَأْيٍ سَحِيقٍ، وَلا تَأْتِي﴾[٣].

زمزم

لبئر زمزم عدة أسماء مثل: ركضة جبرائيل، حفيرة إسماعيل، حفيرة عبد المطلب، برّه (بمعنى إنهض)، مضنونة (بمعنى النفيس)، رواء، شبعة (بمعنى السائر)، شفاء السقم وزمزم.

ومعنى إسم زمزم من الزّمّ وهو الشيء النابع والمجموع. وقصة نبوعه معروفة وردت في كثير من الروايات[٤]. ويُعرف فضله ومعناه من خلال:

١- غفران الذنوب

عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: ﴿... من طاف بالبيتِ سبعاً وصلّى خلف المقام ركعتين وشرب من ماء زمزم غُفرت ذنوبه كلُّها بالغةً ما بلغت﴾[٥].

نشستم در كنار چاه زمزم بنوشيدم از آن سر چشمه نم نم
درونم روشن از نور خدا گشت روانم شد رها از آتش غم

يعني:

جلست إلى جوار بئر زمزم شربت من تلك العين قليلاً قليلاً
تَنَوَّرَ ظاهري بنور الله عز وجل وتخلص باطني من نار الغم

---

١ المصدر السابق ص٢٤٢.

٢ المصدر السابق ص٢٦٨.

٣ وسائل الشيعة ج٤ ص٣٠٢.

٤ الكافي ج ٤ ص ٢٠٢.

٥ الدر المنثور ج١ ص ٢٩٣.

٢- دواء لكل مرض

عن النبي الأكرم ﷺ: ﴿مَاءُ زَمْزَمَ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ وَسُقْمٍ، وَأَمَانٌ مِنْ كُلِّ خَوْفٍ وَحُزْنٍ﴾[١].

وعنه ﷺ: ﴿مَاءُ زَمْزَمَ شِفَاءٌ لِمَا شُرِبَ لَهُ﴾[٢].

---

١ فقه الرضا ص٣٤٦.

٢ من لا يحضره الفقيه ج٢ ص ٢٠٨.

الفصل الثاني
المدينة المنورة

وفيه أمور:

الأول: سر المرور بالمدينة عند الحج والعمرة

مسألة المرور بالمدينة المنورة ذهاباً أو إياباً أو كليهما من القضايا البديهية والمسلَّمة بل اللابدّية، وذلك لأنّ الحجّ الفقهي المفروض على الناس يُظهر مدى طاعة العبد لربه ودرجة قربه منْ تبارك وتعالى، أمّا الحجّ المعنوي فهو مظهر ولاية العبد لربه ورسوله وأولي الأمر، وقد تقدم ذلك في رواية الإمام الباقر عليه السلام.

والمدينة المنورة بحدّ ذاتها مركز الولاية المبارِزة للشرك والنُصب، فهي عَلَم شاخص يُظهر حركته في وجه الطغاة باستمرار بالرغم من كل المحاولات التي حاولت إنزاله أو كسره أو تغطيته، ففي المدينة بيت النبي صلى الله عليه وآله ومسجده وقبره، وكذا بيت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وذكرى فاطمة الزهراء عليها السلام وسرّها المخفي الذي لن يُكشف حتى ظهور القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف، وكذا بيوت ومراقد الأئمة الطاهرين عليهم السلام والأصحاب المنتجبين، فالعروج على المدينة أمر مهم جداً لإحياء ذكرى الماضيين وتجديد العهد للإمام القائم عليه السلام، نعم الروايات تؤكد على اختتام الحجّ بالمدينة بأنْ يُقدَّم الحج ومن ثم المرور بالمدينة، وهذا وإنْ لم يكن معمولاً به في مسيرة الحجاج[1] إلا أنَّه لا يعني عدم أهمية المرور بالمدينة، وإنَّما هو خلاف ظاهر بعض الروايات في مورد الاضطرار، لذا أصبح من الضروري التوجه إلى أهمية المرور بالمدينة المنورة لتحقيق الغرض الذي أكّد أهل البيت عليهم السلام الذي من أجله صار المرور بالمدينة، فعن الإمام الباقر عليه السلام: ﴿إبْدَأْ بِمَكَّةَ وَاخْتِمْ بِالْمَدِينَةِ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ﴾[2].

---

١ نتيجة التفويج الذي تعمد إليه السلطات هناك.

٢ الكافي ج ٤ ص٥٥٠.

وبصدد بيان عِلّة ذلك قال الإمام الصادق عليه السلام: ﴿إِذَا حَجَّ أَحَدُكُمْ فَلْيَخْتِمْ حَجَّهُ بِزِيَارَتِنَا، لأنَّ ذَلِكَ مِنْ تَمَامِ الْحَجِّ﴾[١]. وهذا يعني أنَّ الحج؛ بل جميع العبادات لا تتمّ إلا بالولاية، وهذا المعنى واضح عند كلٍّ من قرأ كتاب الله وفهم محتواه، قال تعالى في بيان أهمية الولاية ويوم تشريعها على المسلمين بعد النبي صلى الله عليه وآله، ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[٢].

وفي المقام يقول الملا محسن الكاشاني قدس سره: ﴿وأمّا زيارة المدينة، فإذا وقع بصره على حيطانها فليتذكر أنّها البلدة التي اختارها الله تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله، وجعل إليها هجرته، وأنّها داره التي فيها شرّع فرائض ربّه وسننه، وجاهد عدّوه وظهر بها دينُه إلى أنْ توفّاه الله ثم جعل تربته فيها. ثم ليمثّل في نفسه أقدام رسول الله صلى الله عليه وآله عند تردّداته، وإنّه ما من موضع قدم إلا وهي موضع قدمه العزيز فلا يضع قدمه إلا على سكينة ووجل، وليتذكّر مشيه وتخطيه في سِكَكِها﴾[٣].

الثاني: أسماء المدينة وأسرارها

للمدينة المنورة أسماء متعددة، قال البعض أنّها ثمانية والآخر إحدى عشرة وأنهاها البعض إلى ثلاثة عشر. واختُلف في مكان بعض الأسماء، وعلى أيِّ حال فالأسماء الواردة في المدينة هي:

يثرب، طيبة، طابة، الدار، السكينة (المسكينة)، جائزة، المحبورة، المحبوبة، المحبة، العذراء، المرحومة، القاصمة، وتبدد أو (تيدد) أو (يندر) أو (يندد): وهو موضعٌ من أودية الأجرد، والبعض قال بأنَّ من أسماءها الجابرة، المحفّة، وجَبَار.

---

١ عيون أخبار الرضا عليه السلام ج٢ ص٢٦٢.

٢ سورة المائدة: الآية ٣.

٣ الحقائق ص ٢٨٥.

وعلى أيِّ حال، فأشهر أسماءها قبل الهجرة هو يثرب بإسم أول رجل من العمالقة نزل فيها، وهو يثرب بن قائد بن عقيل، ولمّا حلّها النبي ﷺ كره لها هذا الإسم لما فيه لفظ التثريب، وسّماها طيبة وطابة والمدينة[1].

قال النبي ﷺ عنها: ﴿يا طيبة، يا سيدة البلدان﴾[2]. وعنه ﷺ قال: ﴿إنَّ الله تعالى سمى المدينة طابة﴾[3].

ويمكن التنبيه إلى شرف المدينة من خلال نقاط:

١- إنّها محبوبة النبي ﷺ.

إنَّ النبي محمد ﷺ له شوق وعلاقة خاصة بهذه المدينة، فكلّما يريد السفر من المدينة ينظر إلى جدرانها ويحدّق في أرضها، ويسرع في العودة إليها، وقد نُقل أنّه ﷺ كان يقول: ﴿اللهم إنَّ إبراهيم خليلك وعبدك ونبيك دعاك لأهل مَكَّة، وأنا محمدٌ عبدك ونبّيك ورسولك أدعوك لأهل المدينة مثل ما دعاك به إبراهيم لأهل مَكّة، ندعوك أنْ تُبارِك لهم في صاعهم ومُدِّهم وثمارِهم، اللهم حبِّب إلينا المدينة كما حبّبتَ إلينا مَكَّة﴾[4]. لذا تراها صارت مضجعاً له ﷺ فقدّس تربتها وصارت محلاً لقلوب الأئمة الطاهرين عليهم السلام.

نعم هناك بعض الروايات تذمّ أهل المدينة لشدّة عدائهم لأهل البيت عليهم السلام بعد رحلة النبي ﷺ وهذه مختصة بالظالمين منهم.

١ مرآة العقول ج ٦ ص ٢٢٤.

٢ كنز العمال ج١٢ ص ٢٥٩.

٣ صحيح مسلم ج ٢ ص ١٠٠٧.

٤ مسند أحمد بن حنبل ج ٨ ص ٣١٤.

٢- إنّها مدينة القرآن.

ورد عن النبي الأكرم ﷺ أنّه قال: ﴿افتُتحت القرى بالسيف، وافتُتحت المدينة بالقرآن﴾[١]. هذا من جهة، ومن جهة أخرى هي محل نزول القرآن المجيد، وإنك ترى أنّ بعض سور وآيات القرآن نزلت في المدينة وهي ما يعبرّ عنها بالسُوَر المدنية.

٣- إنّها وادي التنزيه والتطهير.

عن النبي محمد ﷺ: ﴿الْمَدِينَةُ تَنْفِي خَبَثَ الرِّجَالِ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ﴾[٢]. بمعنى: إنّ أهلها يتمحصون فينتفي عنها الأشرار.

الثالث: مسجد النبي ﷺ.

مسجد النبي ﷺ بُني بيده الشريفة وكان صغيراً، وبدأ يتزايد حجمه بازدياد عدد المسلمين بعدما طلبوا منه ﷺ التوسعة في المسجد، فوافق ﷺ على ذلك إلا أنّه لم يوافق على تطيين السقف، فلاحظ ما رواه عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَنَى مَسْجِدَهُ بِالسَّمِيطِ[٣] ثُمَّ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ كَثُرُوا فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَمَرْتَ بِالْمَسْجِدِ فَزِيدَ فِيهِ. فَقَالَ: ﴿نَعَمْ؛ فَأَمَرَ بِهِ فَزِيدَ فِيهِ وَبَنَاهُ بِالسَّعِيدَةِ[٤]، ثُمَّ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ كَثُرُوا فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَمَرْتَ بِالْمَسْجِدِ فَزِيدَ فِيهِ. فَقَالَ: نَعَمْ؛ فَأَمَرَ بِهِ فَزِيدَ فِيهِ وَبَنَى جِدَارَهُ بِالأُنْثَى وَالذَّكَرِ[٥]. ثُمَّ اشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْحَرُّ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَمَرْتَ بِالْمَسْجِدِ فَظُلِّلَ. فَقَالَ: نَعَمْ؛ فَأَمَرَ بِهِ فَأُقِيمَتْ فِيهِ سَوَارٍ[٦] مِنْ جُذُوعِ النَّخْلِ، ثُمَّ طُرِحَتْ عَلَيْهِ الْعَوَارِضُ وَالْخَصَفُ وَالإِذْخِرُ[٧]، فَعَاشُوا فِيهِ حَتَّى

---

١ كنز العمال ج ١٢ ص ٢٣٠.

٢ المجازات النبوية ص ٣٠٣.

٣ أيْ: الآجر القائم بعضه فوق بعض.

٤ أيْ: لبنة ونصف.

٥ أيْ: لبنتان متخالفتان.

٦ الساري: جمع سارية وهي من الخشب توضع في الطول ويوضع عليها السعف لتكف الشمس.

٧ أيْ: الحشيش الأخضر.

أَصَابَتْهُمُ الأَمْطَارُ؛ فَجَعَلَ الْمَسْجِدُ يَكِفُ[١] عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَمَرْتَ بِالْمَسْجِدِ فَطُيِّنَ. فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لا؛ عَرِيشٌ كَعَرِيشِ مُوسَى ﷺ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ جِدَارُهُ قَبْلَ أَنْ يُظَلَّلَ قَامَةً، فَكَانَ إِذَا كَانَ الْفَيْءُ ذِرَاعاً وَهُوَ قَدْرُ مَرْبِضِ عَنْزٍ صَلَّى الظُّهْرَ، وَإِذَا كَانَ ضِعْفَ ذَلِكَ صَلَّى الْعَصْرَ ﴾[٢].

وكان النبي الأكرم ﷺ يهتم كثيراً بمسجده لأنَّه يدرك عظمته وفضله، ولا يقل فضّله عن المسجد الحرام ومسجد إيليا في بيت المقدس. وفي بيان فضِل هذا المسجد قال النبي ﷺ: ﴿ من خرج على طهر لا يريد إلا مسجدي هذا وليصلّي فيه، كان بمنزلة حجة ﴾[٣].

وفضل هذا المسجد والصلاة فيه أكبر من أنْ يُحصى[٤] وقد ورد عنه ﷺ: ﴿من صلى في مسجدي أربعين صلاة لا يفوته صلاة كُتبت له براءة من النار ونجاة من العذاب وبرئ من النفاق ﴾[٥]. وأهم ما في مسجد النبي ﷺ، بل وأنَّ الفضل والأهمية المذكورة له إنَّما هو لوجوده المبارك. فكان الناس أيام حياته ﷺ ينعمون برؤيته ويسلمون عليه ويسمعون الرد، وفي وفاته يزورونه ويتبركون بالحضور في حرمه المقدس.

يقول الملا محسن الفيض الكاشاني ﷺ: ﴿ فإذا بلغ المسجد فليذكر أنَّ فرائض الله تعالى أول ما أُقيمت في تلك البرهة، فليعظم أمله في الله أنْ يرحمه بدخوله إيّاه خاشعاً معظِّماً، وما أجدر ذاك المكان بأنْ يستدعي الخشوع من قلب كل مؤمن ﴾[٦].

---

١ أيْ: يخرّ.

٢ الكافي ج ٣ ص ٢٩٥ - ٢٩٦.

٣ شعب الإيمان ج٣ ص ٥٠٠.

٤ أنظر الكافي ج ٤ ص ٥٥٩، وثواب الأعمال ص ٥٠، وسنن ابن ماجة ج ١ ص ٤٥٣.

٥ مسند أحمد بن حنبل ج ٤ ص ٣١١.

٦ الحقائق ص ٢٨٥.

الرابع: الزيارة، والكلام يقع عنها في جهات:

الأولى: مفهومها وحكمتها:

ذكرنا أنَّ أهم مسألة في المدينة المنورة هي تثبيت ولاية أهل البيت عليهم السلام وأجلى مظاهر ذلك للعامي والخاصي هي زيارة مراقدهم عليهم السلام، فزيارة النبي صلى الله عليه وآله تعدّ من أولويات التشرف بالمدينة المنورة.

وفي هذا المجال نحاول ذكر ما يرتبط بالزيارة بصورة عامة[1] ثم نذكر ما يربط بزيارة النبي صلى الله عليه وآله وأئمة البقيع والسيدة الزهراء صلوات الله عليهم أجمعين.

حكمة الزيارة:

أشرنا في بداية هذه المرقومة إلى حكمة العبادات ومنها الحج الذي عقدت هذه الأوراق لأجله، والزيارة عند الإمامية من العبادات القربية التي لها ظاهر وباطن، فيكون لها حكمة كباقي العبادات.

وفي المقام يقول الشيخ جوادي آملي دامت بركاته:﴿الزيارة: هي حضور عرفاني للعاشق في ديار المعشوق، هي لقاء الزائر العاشق لحظيرة المزور، هي إظهار الوله والشغف من المحبّ للمحبوب، هي فتح وبذل القلب المُعطى بكلِّه في محضر صاحب القلب، هي التسليم المطلق من الجندي المضحّي أمام القائد، هي إعلان التواضع من المتديّن قبال الدين وأئمة الدين، هي إبراز للإيمان والالتزام الديني.

الزيارة هي إعلام المريد بالوفاء الصادق للمراد، هي إعلان تعلّق المطيع بالمطاع، وإعلام بتجاهل الذات والتضحية بها في سبيل المحبوب.

الزيارة هي عرض الذات على الميزان والمقياس، هي الوقف أمام مرآة الكمال ومعياره، هي إراءة صراط الكمال لمن ينشد التعالي، ليعلم إلى أيِّ مدى يمكنه الوصول.

---

١ وإنْ كنّا قد تطرقنا لبعض المباحث عنها في التأديبات العلوية.

الزيارة سفر المشتاق والعاشق العارف، تنبع من عمق القلب وتجتاز طريق القلب لتصل في نهاية المطاف إلى المقصود في منزل القلب، لتحطّ ركابها فيه ﴾[1].

الزيارة (لغةً): الميل والعدول عن الشيء.

يقول ابن فارس: ﴿ ومن الباب الزائرِ، لأنَّه إذا زارك فقد عَدَل عن غيرك ﴾[2].

ويقول الفيومي: ﴿ والزيارة في العرف قصد المزور إكراماً له واستئناساً به ﴾[3].

وهذا يعني أنّ زيارة الأنبياء والأئمة والأولياء عليهم السلام تعني الميل عن الماديات والعدول عن عالم الطبيعة؛ والتوجّه إلى العالم الروحاني، على الرغم من حضور جسم الزائر في المحيط المادي الطبيعي، فالزيارة هي السبب الحقيقي لبقاء واستمرار الحياة العلمية والأخلاقية والمعنوية، فتمثُّل أخلاق المزور أمام الزائر ليغوص في أعماقها ويتصف بها.

الثانية: الحضور المكاني للزيارة

والمقصود أنَّ الزائر لا بدَّ أنْ يكون في مكان الزيارة؛ أيْ عند المزور. لأنَّ الآثار المترتبة على الزيارة إنَّما تكون في مكان الزيارة وليس بقراءة ألفاظ الزيارة فقط، فالزائر في مكان الزيارة يحضر في المكان بالإضافة إلى قراءة الزيارة؛ بخلاف من لم يحضر، نعم يُكتفى بقراءة ألفاظ الزيارة وأنْ يُعاش جوّ الزيارة في حال عدم التمكين من المثول في مكان الزيارة. وهذا المعنى يظهر من قول الإمام الصادق عليه السلام: ﴿ مُرُّوا بِالْمَدِينَةِ فَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله مِنْ قَرِيبٍ؛ وَإِنْ كَانَتِ الصَّلَاةُ تَبْلُغُهُ مِنْ بَعِيدٍ ﴾[4].

---

1 أدب فناء المقربين ج1 ص 17.

2 مقاييس اللغة، مادة (زور).

3 المصباح المنير، مادة (زور).

4 الكافي ج 4 ص 552.

وهذا يعني أن الحضور عن قبر المزور له خصوصيات وآثار متعددة منها:

١- الإفادة من الجو المعنوي للعتبات الشريفة التي هي محلّ تردّد الملائكة وأرواح الأنبياء والأئمة والأولياء عليهم السلام، ومثاب خاص للروح العالية للمزور، والدعاء فيها باعتبارها من محالّ استجابة الدعاء.

٢- ترويج الثقافة التوحيدية وولاية أهل بيت العصمة عليهم السلام في الطرق والمدن الواقعة في مسار المشاهد المشرفة.

٣- هي مظهر الحب الصادق للمزور والتعلّق به.

٤- تعارف المجتمعات والأطياف المختلفة، والإطلاع على المعوّقات والعقبات والإمكانات عند الأطراف المختلفة.

٥- العمل بالوصايا القرآنية الكلّية، بالسير في آفاق الأرض والنظر في عواقب عصيان المجرمين من جهة، وعواقب الرجال الإلهيين من جهة أخرى.

٦- الوفاء للمزور القائد والإلتزام بالعهد المعقود معه.

٧- كثرة التردد على المراقد المقدسة جعلتها مراكز للعلم والتبليغ وترويج الدين ومنطلق للثورات والنهضات وحركات استرداد الحقوق[١].

وآثار الزيارة لا تحصى وإنّما أردنا الإشارة إلى الخصوصيات المرتبطة بالحضور في مكان الزيارة. وإنْ أردنا أنْ نذكر أثراً واحداً للزيارة لكفى؛ وهو أنَّ الزائر للمزور يصير مزوراً من قبل المعصوم عليه السلام يوم الحاجة إلى أدنى مرحمة وهو يوم القيامة، فعنه صلى الله عليه وآله: ﴿مَنْ زَارَنِي أَوْ زَارَ أَحَداً مِنْ ذُرِّيَّتِي زُرْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَنْقَذْتُهُ مِنْ أَهْوَالِهَا﴾[٢]. ولا نريد ذكر آثار الزيارة لكي لا تكون هي المقصودة بالأصالة عند الزيارة.

---

١ أدب فناء المقربين ج ١ ص ٢٥ بتصرّف.

٢ كامل الزيارات ص ١١.

الثالثة: الزيارة في الفقه

محل كلامنا وإنْ كان الزيارة بصورة عامة، ولكن المُنصرف منه أنَّ الزيارة للمعصومين عليهم السلام: الأنبياء والأئمة وينضمُّ إليهم الأولياء. لذا فإنَّ الزيارة تدور مدار الإستحباب والوجوب في بعض الأحيان، فلا توجد زيارة مكروهة أو محرمة في مقصودنا لأنَّها خارجة تخصُّصاً.

وعلى أيِّ حال فإنّ فقهاء الفريقين أفتوا باستحباب الزيارة مستندين إلى الأدلة المتواترة والمستفيضة في التأكيد على الزيارة، وقد الزيارة تجب في بعض الأوقات. قال صاحب الشرائع: ﴿يستحب زيارة النبي صلى الله عليه وآله للحاج استحباباً مؤكداً﴾ وقال في موضع آخر: ﴿إذا ترك الناس زيارة النبي صلى الله عليه وآله أُجبروا عليها لما يتضمّن من الجفاء المحرمّ﴾[1]. وقال الشيخ الطوسي رحمه الله: ﴿..... وكذلك إنْ تركوا زيارة النبي صلى الله عليه وآله كان على الإمام إجبارهم عليها﴾[2]. والظاهر أنَّ المستند في ذلك ما رواه عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ حَفْصِ بْنِ الْبَخْتَرِيِّ وَ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ وَمُعَاوِيَةَ بْنِ عَمَّارٍ وَغَيْرِهِمْ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قال: ﴿..... وَلَوْ تَرَكُوا زِيَارَةَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله لَكَانَ عَلَى الْوَالِي أَنْ يُجْبِرَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَعَلَى الْمُقَامِ عِنْدَهُ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَمْوَالٌ أَنْفَقَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ﴾[3]. وهذه الفتاوى وهذا النص ظاهرة في الوجوب في الحالة المذكورة، وإنْ ناقش بعضٌ في هذا الوجوب إلا أنَّ الشهيد الثاني قدس سره أوضح ذلك بقوله: ﴿إستلزام ترك الجميع زيارته صلى الله عليه وآله، التهاون بأعظم السنن وأجلِّها، فيُجبرون عليها، إلى أنْ يقوموا بما يدفع ذلك﴾[4]. أمّا أهل السنة فقد أفتوا باستحباب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله، قال أبن قدامة: ﴿يستحب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله لما روى الدارقطني بإسناده....[5]﴾[6].

---

١ شرائع الإسلام – كتاب الحج ج١ ص٢٠٨.

٢ المبسوط ج ١ ص ٣٨٥ المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية ـ طهران عام ١٣٨٧ هـ ق.

٣ الكافي ج ٤ ص ٢٧٢.

٤ مسالك الأفهام ج ٢ ص ٣٧٤ . نشر مؤسسة المعارف الإسلامية ١٤١٣هـ قم.

٥ المغني ج٣ ص ٥٨٨.

٦ ذكرنا بعض الأمور المرتبطة بالزيارة في التأديبات التلوية لا بأس بمراجعته لإتمام الفائدة.

الخامس: زيارة النبي ﷺ.

عن الإمام السجاد عليه السلام: ﴿ اللَّهُمَّ وَامْنُنْ عَلَيَ بِالْحَجِ وَالْعُمْرَةِ، وَزِيَارَةِ قَبْرِ رَسُولِكَ، صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَرَحْمَتُكَ وَبَرَكَاتُكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، وَآلِ رَسُولِكَ عَلَيْهِمُ السَّلامُ أَبَداً مَا أَبْقَيْتَنِي فِي عَامِي هَذَا وَفِي كُلِّ عَامٍ، وَاجْعَلْ ذَلِكَ مَقْبُولاً مَشْكُوراً، مَذْكُوراً لَدَيْكَ، مَذْخُوراً عِنْدَكَ ﴾[1].

كل ما ذكرنا كان مقدمة لذكر أهمية زيارته ﷺ، ولا يمكن لأحد أنْ يتجرأ ويحصي فضلَه ﷺ وفضلَ زيارته، ولكننا نعمد إلى أنْ نشير هنا إلى بعض الفوائد التي يمكن أنْ تكون مؤدية لبعض حقِّه لتحمّله أعباء النبوة والرسالة وخدمته للإسلام والمسلمين. وفي المقام يقول المحدث الملا محسن الفيض الكاشاني قدس سره: ﴿ وأمّا زيارته ﷺ فينبغي أنْ يقف بين يديه ويزوره ميتاً كما يزوره حياً ولا يقرب من قبره كما لا يقرب من شخصه الكريم لو كان حياً[2] ﴾[3] وليعلم أنَّه عالم بحضوره وقيامه وزيارته، وأنَّه يبلغه سلامه وصلواته، فليُمثِل صورته الكريمة في خياله موضوعاً بإزائه، وليُحضر عظيم رتبته في قلبه[4]. فقد ورد أنَّ الله تعالى وكّل مَلَكاً بقبره يبلِغَه سلام من سلّم عليه من أمته، هذا في حق من لم يحضر قبره الشريف، فكيف بمن فارق الوطن وقطع البوادي شوقاً إلى لقاءه واكتفى بمشاهدة مشهده الكريم إذ فاتته مشاهدة غرّته الكريمة[5].

---

١ الصحيفة السجادية الدعاء ٢٣ مِنْ دُعَائِهِ عليه السلام إِذَا سَأَلَ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَ شُكْرَهَا.

٢ أقول: في عبارة الفيض رحمه الله ذكر للأدب معهم عليهم السلام وهو جيد، ولكنه خلاف بعض كلمات الأعلام من استحباب اللصوق بالقبر كما ورد عن السيد بحر العلوم في منظومته.[الدرة النجفية ص ١٠٤ - نشر دار الزهراء ١٤٠٦هـ/ بيروت].

فالسعي للصلاة عندها نُدب وقربها بل اللصوق قد طلب

والظاهر أنَّ مقصود الفيض الكاشاني قدس سره عدم التقدم ولبس التقرب، والأمر سهل.

٣ الحقائق ص٢٨٦.

٤ ودرجته الوجودية من أنَّه مطلق الوجود في عقله وكلِّ كيانه.

٥ الحقائق ص ٢٨٦.

ومنه يُعلم أنَّ عظم زيارته ﷺ على عظم قدره، كيف وفي الزيارة يتحقق أعظم فرضين وهما: رؤيته ﷺ وشفاعته؛

أمّا رؤيته: فقد ورد ذلك في كتب الفريقين، فانظر ما رواه البيهقي عن النبي ﷺ: ﴿ من حج فزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي ﴾[١]. ومن كتبنا ما عن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿ إِذَا فَرَغْتَ مِنَ الدُّعَاءِ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ فَائْتِ الْمِنْبَرَ فَامْسَحْهُ بِيَدِكَ، وَخُذْ بِرُمَّانَتَيْهِ وَهُمَا السُّفْلاوَانِ وَامْسَحْ عَيْنَيْكَ وَوَجْهَكَ بِهِ؛ فَإِنَّهُ يُقَالُ: إِنَّهُ شِفَاءُ الْعَيْنِ، وَقُمْ عِنْدَهُ فَاحْمَدِ اللَّهَ وَأَثْنِ عَلَيْهِ وَسَلْ حَاجَتَكَ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَا بَيْنَ مِنْبَرِي وَ بَيْتِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمِنْبَرِي عَلَى تُرْعَةٍ مِنْ تُرَعِ الْجَنَّةِ، وَالتُّرْعَةُ هِيَ الْبَابُ الصَّغِيرُ ﴾[٢]. وقد سُئل عليه السلام: هِيَ رَوْضَةٌ الْيَوْمَ؟ قَالَ: ﴿ نَعَمْ إِنَّهُ لَوْ كُشِفَ الْغِطَاءُ لَرَأَيْتُمْ ﴾[٣].

وأمّا شفاعته: فلما ورد عَنِ الْمُعَلَّى أَبِي شِهَابٍ قَالَ: قَالَ الْحُسَيْنُ عليه السلام لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿ يَا أَبَتَاهْ: مَا لِمَنْ زَارَكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا بُنَيَّ: مَنْ زَارَنِي حَيّاً أَوْ مَيِّتاً أَوْ زَارَ أَبَاكَ أَوْ زَارَ أَخَاكَ أَوْ زَارَكَ كَانَ حَقّاً عَلَيَّ أَنْ أَزُورَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأُخَلِّصَهُ مِنْ ذُنُوبِهِ ﴾[٤]. وعنه ﷺ: ﴿ مَنْ أَتَانِي زَائِراً كُنْتُ شَفِيعَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[٥].

ونحيل القارئ الكريم إلى ما حررنا في الفتوحات العلوية عند الكلام عن الحقيقية المحمدية[٦]، واستحضار منزلته العلية عند الزيارة، فإنَّه يساعد على كونك زائراً (عارفاً بحقه)، كما ورد في كثير من الروايات.

---

١ السنن الكبرى ج ٥ ص ٤٠٣ نشر دار الفكر بيروت ١٤١٧ هـ..

٢ الكافي ج ٤ ص ٥٥٣.

٣ المصدر السابق ص ٥٥٤.

٤ المصدر السابق ص ٥٤٨.

٥ المصدر السابق.

٦ المرحلة الرابعة.

ولا نريد الإطالة في هذا المقام، ولكن على نحو العُجالة نذكر جانباً من عرفان حقهم علينا بالإضافة إلى ما ذكرناه من المعرفة الوجودية. وهو أنّهم عليهم السلام يتحلّون بكل كمال ممكن، وأنَّ كلَّ ما لديهم مصون من العيب والنقص، وأنَّ ما يتحلّون به في مرحلة الحدوث باقٍ لا يزول. وهذا كلّه لأنّهم عليهم السلام عِدل القرآن بل هم القرآن الناطق. هذا من ناحية علمية إعتقادية، وأمّا من الناحية العملية فحقهّم علينا: الوفاء بالبيعة بأنْ نكون مقودين صالحين ومأمومين طائعين، وكذا الإتصاف بالإخلاص والنصيحة للمعصوم عليه السلام في السرِّ والعلن، بمعنى الخلوص من كل عيب ونقص في ولايتهم عليهم السلام، وتلبية الدعوة إلى ما يريد، وامتثال الأوامر. هذه الحقوق ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام بعد ذكر حقوقنا عليه التي أداّها كلّها لنا، وينتظر منّا أنْ نؤدي حقوقهم إليهم عليهم السلام.

قال صلوات الله وسلامه عليه: ﴿أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ؛ فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ: فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ، وَتَوْفِيرُ فَيْئِكُمْ عَلَيْكُمْ، وَتَعْلِيمُكُمْ كَيْلا تَجْهَلُوا، وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْمَا تَعْلَمُوا، وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ: فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ، وَالنَّصِيحَةُ فِي الْمَشْهَدِ وَالْمَغِيبِ، وَالإجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ، وَالطَّاعَةُ حِينَ آمُرُكُم﴾[1].

السادسة: البقيع

البقيع لغةً: المتسع وكلّ موضع فيه شجر.

وبقيع الغرقد بمدينة رسول الله صلى الله عليه وآله، كان ذا شجر وزال وبقي الإسم، وهو الآن مقبرة صارت مدفناً للآل والأصحاب. وهو الآن معروف إلى جنب المسجد النبوي الشريف وفيه قبور أربعة من الأئمة المعصومين؛ الحسن بن علي المجتبى، وعلي بن الحسين زين العابدين، ومحمد بن علي الباقر، وجعفر بن محمد الصادق عليهم السلام وباقي الآل والأصحاب. والكلام في زيارتهم عليهم السلام

---

١ نهج البلاغة الخطبة ٣٤.

كالكلام في كل زيارة؛ لأنّهم نور واحد، قوال تعالى: ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴾[١]. وقبورهم عليهم السلام واضحة على الرغم من حقد الحاقد وجحود الجاحد، وإنّما الكلام كل الكلام والمصيبة العظمى في قبر السيدة المرضية فاطمة الزهراء عليها السلام، وأنّه أين يكون؟ وكيف يكون؟ والروايات والأخبار في ذلك متعددة، ولعلمائنا تحقيقات دقيقة في ذلك[٢]، ولكن الذي يهّون الخطب أمران: أولهما: أنّنا مهما جاهدنا فلن نعثر على مكان القبر تحديداً وبالدقة لأنَّ ذلك من مكنونات السرَ ومختصات صاحب العصر والزمان أرواحنا فداه. الثاني: إنَّ غرضنا هو معرفتها وحبّها الذي دارت عليه القرون الخالية. هذا ويمكن تحصيل ثواب زيارتها -بما هو ثواب- من خلال أمرين:

أحدهما: زيارة السيدة فاطمة المعصومة بنت الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام بقمّ المقدسة، ذكر ذلك السيد شهاب الدين المرعشي قدس سره.

والآخر: إنَّ زيارة النبي وأهل البيت عليهم السلام خاصة بعد ما كان محلّ دفنها هو تلك البقعة المباركة في المدينة التي هي المسجد ومحوطته؛ ومن ضمنها البقيع الذي ذكر في الرواية: ﴿ فَلَمَّا أَرَادُوا أَنْ يَدْفِنُوهَا نُودُوا مِنْ بُقْعَةٍ مِنَ الْبَقِيعِ: إِلَيَّ إِلَيَّ؛ فَقَدْ رُفِعَ تُرْبَتُهَا مِنِّي، فَنَظَرُوا فَإِذَا هِيَ بِقَبْرٍ مَحْفُورٍ، فَحَمَلُوا السَّرِيرَ إِلَيْهَا فَدَفَنُوهَا ﴾[٣]. أو ببيتها أو بين القبر والمنبر، إذ بالأخره في تلك البقعة الجنتية والترعة الإلهية.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى إنَّ زيارتها عليها السلام زيارةَ المعصومين عليهم السلام. فقد ورد عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى الْكَاظِمِ عليه السلام فَقُلْتُ لَهُ: أَيُّمَا أَفْضَلُ: الزِّيَارَةُ لأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ صلوات الله عليه؟ أَوْ لأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام؟ أَوْ لِفُلانٍ أَوْ فُلانٍ؟ وَ سَمَّيْتُ الأَئِمَّةَ وَاحِداً وَاحِداً. فَقَالَ لِي: ﴿ يَا

---

١ سورة آل عمران: الآية ٣٤.

٢ راجعت كثيراً من المصادر في هذا المجال. ولكن خير ما كتب في موضع قبرها ما استفاده الأستاذ الشيخ محمدعلي جاودان من كلمات أستاذه العلامة السيد مرتضى العسكري قدس سره وسطرها بكتاب بالفارسية إسمه دختر پيامبر.

٣ بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٢١٥.

عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مُسْلِمٍ: مَنْ زَارَ أَوَّلَنَا فَقَدْ زَارَ آخِرَنَا، وَمَنْ زَارَ آخِرَنَا فَقَدْ زَارَ أَوَّلَنَا، وَمَنْ تَوَلَّى أَوَّلَنَا فَقَدْ تَوَلَّى آخِرَنَا، وَمَنْ تَوَلَّى آخِرَنَا فَقَدْ تَوَلَّى أَوَّلَنَا، وَمَنْ قَضَى حَاجَةً لأَحَدٍ مِنْ أَوْلِيَائِنَا فَكَأَنَّمَا قَضَاهَا لِجَمِيعِنَا ﴾[1].

وفي شأن السيدة الرضية فاطمة الزهراء عليها السلام وزيارتها قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَدْ وَكَّلَ بِفَاطِمَةَ رَعِيلاً مِنَ الْمَلائِكَةِ يَحْفَظُونَهَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهَا وَمِنْ خَلْفِهَا وَعَنْ يَمِينِهَا وَعَنْ يَسَارِهَا، وَهُمْ مَعَهَا فِي حَيَاتِهَا، وَعِنْدَ قَبْرِهَا بَعْدَ مَوْتِهَا، يُكْثِرُونَ الصَّلاةَ عَلَيْهَا وَعَلَى أَبِيهَا وَبَعْلِهَا وَبَنِيهَا، فَمَنْ زَارَنِي بَعْدَ وَفَاتِي فَكَأَنَّمَا زَارَ فَاطِمَةَ، وَمَنْ زَارَ فَاطِمَةَ فَكَأَنَّمَا زَارَنِي، وَمَنْ زَارَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَكَأَنَّمَا زَارَ فَاطِمَةَ، وَمَنْ زَارَ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَكَأَنَّمَا زَارَ عَلِيّاً، وَمَنْ زَارَ ذُرِّيَّتَهُمَا فَكَأَنَّمَا زَارَهُمَا ﴾[2].



---

١ المصدر السابق ج ٩٧ ص ١٢٢.

٢ المصدر السابق ص ١٢٢-١٢٣.

المقصد الثالث:

الأعمال

الأعمال

ونبدأ بها بالترتيب مع ذكر معاني بعض الأماكن التي لم نذكرها لأنَّ سرّها يكون مع عملها.

والأعمال هي:

الأول: الإحرام

في حجِّ التمتع إحرامان أحدهما للعمرة ويكون من أحد المواقيت، والآخر للحج ويكون من مقام إبراهيم أو حِجر إسماعيل. وهو أول الأعمال سواء كان للعمرة أم للحج. وله معانٍ عظيمة وأسرار عالية، نذكر منها:

١- تحريم محرمات الإحرام على أساس إسمه تعالى العزيز

إنَّ الناسك الذي يمتنع عن بعض الأشياء في الإحرام، يمتنع على ما كان حلالاً وصار محرّماً بسبب الإحرام، فالإنسان في غير حال الإحرام يحرُم عليه ارتكاب المحرمات ويحلُّ له فعلُ المباحات بالمعنى الأعم. أمّا حال الإحرام فيحرُم عليه بعض المباحات، وهذا يعني أنَّ الحج الذي يبدأ بالإحرام يعني الإنتقال بالإنسان إلى مرحلة جديدة وهي بداية السير إلى الله عز وجل، فلا بدَّ من اللياقة؛ ومع فعل بعض الأُمور المباحة لن يكون لائقاً بالسير ومن ثم المثول في حضرة الحق، وهذا ما أشرنا إليه في التأديبات العلوية من ترك بعض المحلَّلات (المباحات) وجعل المدار في الأفعال والأقوال على ما يرضي الله عز وجل، والفرق واضح إذ إنَّ بعض المباحات لا تكون مورداً لرضاه تبارك وتعالى، وهنا يتجلى إسمه تعالى العزيز.

بتقريب: إنّ الله عز وجل قد سخّر جميع الأشياء للإنسان: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾[1] وبناء على أنّها مخلوقة له فتكون الأشياء هي التي تطلب الإنسان لا أنْ يطلبها هو، وإنَّما يطلب الإنسان ربَّه الذي خلقه وخلق له الأشياء. فالمحرمات التي حُرمت عليه ليس كما يبدو؛ بل إنَّه هو الحرام على الأشياء لأنَّه ما خُلِقَ إلا لربِّه، أمّا الأشياء فقد خُلقت له، فهي تطلبه وهو يطلب ربَّه.

١سورة الجاثية: الآية ١٣.

فالكلام يقع في هذه الثلاثة[١]:

١- النية:

النية في اللغة: هي انبعاث القلب إلى ما هو موافق لغرضه من جلب المنفعة ودفع المضار عاجلاً أم آجلاً، وفي الشرع: توقيف الإرادة على التوجه لفعل ما يُطلب به رضا الله وامتثال أوامره.

وعلى هذا فهي لغةً بمعنى العزم، وشرعاً بمعنى العزم والقصد. ونية الحج هنا من النوايا الشرعية بمعنى خلوص القصد إلى الله عز وجل، وهجرة الباطن إليه تبارك وتعالى والإخلاص له، بمعنى أنْ يُحلَّ كل عقد لم يكن لله عز وجل، ففي رواية الشبلي عن الإمام السجاد عليه السلام: ﴿ فَحِينَ عَقَدْتَ الْحَجَّ نَوَيْتَ أَنَّكَ قَدْ حَلَلْتَ كُلَّ عَقْدٍ لِغَيْرِ اللَّهِ؟ قال: لا ﴾[٢].

والنية المقصودة ليس الإخطار الذي يمكن أنْ ينتهي بعدّ مدة، كلا؛ إنَّ النية إنبعاث الروح وسياحتها في عالم الملكوت، فلو اجتاز الإنسان عالم الطبيعة وترقّى فقد نوى.

وفي مجال بيان النية وحقيقتها نذكر ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[٣] قال: ﴿ لَيسَ يَعْنِي أَكْثَرَ عَمَلاً، وَلَكِنْ أَصْوَبَكُمْ عَمَلاً، وَإِنَّمَا الإصَابَةُ خَشْيَةُ اللَّهِ، وَالنِّيَّةُ الصَّادِقَةُ وَالْحَسَنَةُ، ثُمَّ قَالَ: الإِبْقَاءُ عَلَى الْعَمَلِ حَتَّى يَخْلُصَ أَشَدُّ مِنَ الْعَمَلِ، وَالْعَمَلُ الْخَالِصُ الَّذِي لا تُرِيدُ أَنْ يَحْمَدَكَ عَلَيْهِ أَحَدٌ إلا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَالنِّيَّةُ أَفْضَلُ مِنَ الْعَمَلِ، أَلا وَإِنَّ النِّيَّةَ هِيَ الْعَمَلُ، ثُمَّ تَلا قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ﴾[٤] يَعْنِي عَلَى نِيَّتِهِ ﴾[٥].

---

١ أيْ: النية ولبس الإحرام والطهارة.

٢ مستدرك الوسائل ج ١٠ ص ١٦٧.

٣ سورة الملك: الآية ٢.

٤ سورة الإسراء: الآية ٨٤.

٥ الكافي ج٢ ص١٦.

٢- غسل الإحرام (الطهارة)

تكلّمنا عن الطهارة في التأديبات العلوية وذكرنا مراتبها هناك، وهنا نريد الإشارة إلى أنَّ الغسل (وهو مستحب) الذي يأتي به الناسك للإحرام يتضمن أمرين:

أحدهما: أنْ يكون غُسلُه غُسلَ توبة، فالقصد الرئيسي من الغسل هو الطهارة من الخطايا والذنوب؛ فالذي يَرِدُ الميقات لأجل الإغتسال للإحرام ومن ثم يحرم فإنَّه ينوي قطع جذور المعاصي وليس غسلها فقط؛ وإلا لم يكن لائقاً بالنزول في ضيافة الرحمن، وفي رواية الشبلي عن الإمام زين العابدين عليه السلام ﴿فَحِينَ اغْتَسَلْتَ، نَوَيْتَ أَنَّكَ اغْتَسَلْتَ مِنَ الْخَطَايَا والذُّنُوبِ؟ قال: لا. قال: فَمَا نَزَلْتَ الْمِيقَاتَ﴾[1]. فقوله عليه السلام: ﴿نَوَيْتَ أَنَّكَ اغْتَسَلْتَ مِنَ الْخَطَايَا والذُّنُوبِ﴾ يعني هل تُبْتُ من ذنوبك وقصدت قلعها من جذورها، وتأكيده عليه السلام على ذلك لئلا يدخل الناسك في زمرة الظالمين قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[2].

والآخر: غسل الطهارة؛ والطهارة هنا بالإضافة إلى طهارة الباطن أيضاً[3]، فعقد نية الإحرام لا بدَّ أنْ تكون بطهارة السرّ والعلن، فالطهارة هنا محبوبة لله عز وجل لأنَّها تنزّه وتطهّر الناسك الذي سيكون مظهراً لإسمه تعالى القدوس، وهذا ما أوضحه زين العباد عليه السلام في قوله: ﴿فَحِينَ تَنَظَّفْتَ وأَحْرَمْتَ وعَقَدْتَ الْحَجَّ نَوَيْتَ أَنَّكَ تَنَظَّفْتَ بِنُورَةِ التَّوْبَةِ الْخَالِصَةِ لِلَّهِ تَعَالَى؟ قال: لا﴾[4].

إنَّ الطاهر حبيب الله بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾[5]، فمن أحبه اللهُ ظهرت عليه آثار الربوبية، لأنَّ الله سبحانه وتعالى لا يترك حبيبه.

---

١ مستدرك الوسائل ج ١٠ ص ١٦٧.

٢ سورة الحجرات: الآية ١١.

٣ تفصيل مراتب الطهارة في التأديبات العلوية.

٤ مستدرك الوسائل ج ١٠ ص ١٦٧.

٥ سورة التوبة: الآية ١٠٨.

وفي التوراة المنزلة على موسى عليه السلام: ﴿يا ابن آدم: خلقتُ الأشياء من أجلك، وخلقتُك من أجلي، فلا تهتك ما خلقتُ من أجلي فيما خلقتُ من أجلك﴾[1] وبهذا قد بيّن الله تبارك وتعالى مرتبة الإنسان ليعرف مواطن الذلّة من مواطن العزّة. فالإنسان ما صار عزيزاً إلا لأنَّه صار حراماً على الأشياء من أنْ تناله.

لذا فالأمر بالإحرام يعني الدخول في حرم الله وعزته ومَنَعَتِه؛ فيصير حراماً وموقوفاً على خدمة صاحب الحرم وهذا هو معنى العزّة.

٢- الشهود والفناء

من أسرار الإحرام أنَّ المُحرم الذي حرّم على نفسه مشاهدة الماديات والمحسوسات، فإنَّه سوف يطّلع على العالم الأعلى والأنزه، وسيكون كلُّ شيء عنده شهوداً فيتصل بالمجردات ويصير متّصلاً بالأسماء والصفات الإلهية فإنْ دام كذلك صار مظهراً لها يقول حافظ:

آينـــه ســـكندر جـــام جـــم اســـت بنگـــر
تـــا بـــر تـــو عرضـــه دارد احـــوال مُلـــك دارا[2]

يعني:

أنظـــر مـــرآة الإســـكندر وهـــي كـــأس جمشـــيد[3]
لكـــي أعـــرضَ لـــك فيـــه أحـــوال مُلـــك دارا

ولا يحصل المحرم على هذا المقام (الشهود) إلا بعد أنْ يُحرم عن كلِّ صدأ عالم المُلك ليبرق في نفسه ضوءُ مجرداتِ عالمِ الملكوت وأنوارُ قدسِ عالمِ الجبروت، فلا حجاب بينه وبين الحبيب المعبود، وهنا تكون العبادةُ حقيقيةً واللقاءُ متحققاً. عن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿وَأَحْرِمْ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ يَمْنَعُكَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَيَحْجُبُكَ عَنْ طَاعَتِهِ﴾[4].

---

١ الفتوحات المكية ج١ ص ٦٥٨.

٢ ديوان حافظ غزل ٢٥.

٣ ذكرنا معناه بالتفصيل في الفتوحات العلوية فراجع.

٤ مصباح الشريعة ص٤٨.

٣- الإبتعاد عن المعاصي

وهذه قضية مفروغ منها وهي شرط الإحرام إلى من شدَّ الرحال وأحرم إنْ كان من أهل المعاصي، ويدخل تحت هذا العنوان: الإحرام من النفسيات والمشتهيات وجميع اللذات، وكذا كلٍّ ما يوجب نقض العهد والميثاق الذي أُبرم مع الربّ الكريم في عالم ألست.

والمسألة هنا أعم من الحرام والمكروه؛ فهي تساوق ما هو غير مرضي عند الله تعالى. عن الإمام السجاد عليه السلام : ﴿فَحِينَ أَحْرَمْتَ نَوَيْتَ أَنَّكَ حَرَّمْتَ عَلَى نَفْسِكَ كُلَّ مُحَرَّمٍ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ؟ قال: لا﴾[1].

٤- حرمة الكعبة

إنَّ للكعبة حرمةً واحتراماً خاصّين كما تقدم، ولأجل هذه الحرمة سنَّ الله تبارك وتعالى احترام كل ما يرتبط بالكعبة من المسجد الحرام والداخل إليه، ولأجل هذه الحرمة سُنَّ الإحرام، عن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿حَرَّمَ اللَّهُ الْمَسْجِدَ لِعِلَّةِ الْكَعْبَةِ، وَحَرَّمَ الْحَرَمَ لِعِلَّةِ الْمَسْجِدِ، وَوَجَبَ الإِحْرَامُ لِعِلَّةِ الْحَرَمِ﴾[2].

٥- ميزاب القلب

إن المحرم بسبب الإحرام قد خرجت من قلبه جميع الشوائب بل وجميع الأغيار فغدا صافياً خالصاً مخلَصاً، وما كان كذلك صار ينبوعاً للحكمة كما في قول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله:﴿مَا أَخْلَصَ عَبْدٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً؛ إلا جَرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ﴾[3].

أفعال الإحرام:

في الإحرام عدّة أفعال بعضها خارجية وبعضها باطنية؛ فالباطنية منها النية، والخارجية، لبس الإحرام، أمّا الطهارة فتقال على كلا النحوين.

---

١ مستدرك الوسائل ج١٠ ص ١٦٧.

٢ المحاسن ج٢ ص ٣٣٠.

٣ عيون أخبار الرضا عليه السلام ج٢ ص٦٩.

وقد شرّع الله تبارك وتعالى طهاراتٍ مقابل أنواع النجاسات[١] وكذا شرّع الله تبارك وتعالى التيمم بدلاً عن الطهارة المائية في حال فقدانها، وفي التيمم حكمة كبيرة في إزالة العجب والكبر عند إمرار التراب على الوجه فتفطن.

وفي مجال أنواع الطهارات يقول الشيخ حسن زاده آملي دامت بركاته: ﴿وأمّا الطهارات الظاهرية: فهي طهارة البدن من الأدناس والقاذورات وطهارة الحواس من الخوض في الإدراكات التي لا حاجة إليها ..... وأمّا الطهارة الباطنية في طهارة الخيال من الإعتقادات الفاسدة والتخيّلات الرديئة، ومن جولانه في ميدان الآمال والأماني، وطهارة الذهن من الأفكار الرديئة، ومن التصورات غير الواقعية، وغير النافعة، وطهارة العقل من التقيّد بنتائج الأفكار فيما يختص بمعرفة الحق سبحانه، ومعرفة غرائب العلوم، والأسرار المصاحبة لفيضه المنبسط على الممكنات. وطهارة القلب من التقلب الناشئ من التشعّب، والتشعّب هو بسبب التقاعس الموجب لتشتت العزم والإرادة، فيجب أنْ يكون للقلب همٌّ واحد، يقول أمير المؤمنين عليه السلام ﴿ قُلُوبُ الْعِبَادِ الطَّاهِرَةُ مَوَاضِعُ نَظَرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، فَمَنْ طَهَّرَ قَلْبَهُ نَظَرَ إِلَيْهِ ﴾[٢]. وفي الكافي بإسناده عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ: سَأَلْتُهُ[٣] عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾؟ قَالَ: ﴿ الْقَلْبُ السَّلِيمُ الَّذِي يَلْقَى رَبَّهُ وَلَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ سِوَاهُ ﴾[٤].

وطهارة النفس من أغراضها التي لَعَلَّها من أصل خميرة الميولات والأماني وكثرة التشوّقات. وطهارة الروح من الحظوظ الشريفة المرجوّة من الحق تعالى، مثل معرفته عز وجل وقربه ومشاهدته، وباقي أنواع النعيم الروحانية الأخرى.

---

١ كل ذلك مذكور في الفقه.

٢ عيون الحكم والمواعظ (الليثي)، الحكمة ٦٢٩٤.

٣ يعني أبا عبد الله عليه السلام.

٤ الكافي ج٢ ص ١٦.

يقول الشيخ[١] في النمط التاسع من الإشارات في مقامات العارفين: ﴿من آثر العرفان للعرفان، فقد قال بالثاني﴾ ولذلك يكون العلم حجاباً بحسب هذه الرؤية. وهذا وجه آخر من معاني أنَّ العلم حجاب الله الأكبر .....

وطهارة الحقيقة الإنسانية عن العوز والإفتقار في مقام الجمع الإنساني وعن تغير صورةٍ وحقيقةٍ ما يأتي للإنسان من الحق سبحانه. وطهارة سرِّ الإنسان، سرُّ الإنسان هو حصتُه الوجودية من مطلق التجلّي الجمعي، وبهذه الحيثية يرتبط بالحق المطلق ويستند إليه. وطهارة السر تتحقق باتصاله بالحق المطلق، وزوال الأحكام التقييدية التي تعرض عليه بسبب مصاحبته عينه الثابتة التي هي المجلى القابل للتجلّي والمقيدَ به، ذلك لأنَّ مقتضى الحكم الإلهي الحتمي والسُنّة الإلهية الثابتة: هو أنْ يكون كلٌّ تجلٍّ وصفاته تبعاً لمجلاه، أيْ مرآته: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾[٢].

وطهارة خاصة الإنسان، وتتحقق هذه الطهارة بعد عبوره مراتب طهارة بدنه، وروحه وسرِّه. وتتحقق هذه المراتب من الطهارة بمقدار تحقّق الإنسان بالحق تعالى وفوزه بالتجلي الذاتي للحق سبحانه... وهذه المرتبة من طهارة خاصة الإنسان هي أعلى مراتب طهارته، فلا يبقى ثمة حجاب بعد التجلي الذاتي، ولا قرار للكاملين إلا بتحقق هذا التجلي، إذ يحظون حينئذ بالحضور الكامل في مقعد صدق عند مليكٍ مقتدر، ويفوزون بالمعية الذاتية المنبسطة على عالمي الغيب والشهادة وما يشتملان عليه﴾[٣].

٣- لبس ثوبي الإحرام

وقبل لبس ثوبي هناك خلع للملابس المخيطة وكل ما جاء به من متعلقات وترسبات الدنيا، فالكلام يقع في الخلع واللبس.

---

١ يعني: إبن سينا.

٢ سورة فاطر: الآية ٤٢.

٣ وحدت از ديدگاه عارف وحكيم ص٤٢-٤٤.

أما الخلع ففيه أمور:

أ- خلع لباس مخالفة الله عز وجل:

وهنا يخلع الناسك كلَّ مخالفةٍ وشبهة ارتكبها أو كان جذرُها في نفسه، بل يخلع إرادة المعصية، وإنْ اضطر أنْ يخلع نفسه ويخرج منها فيولد مرة أخرى ويعود كما بدأه الله تعالى على الفطرة[١]. فإذا فعل ذلك يكون قد تخلص من جميع الصفات الذميمة سواء كانت بالفعل أو بالقوة، ففي رواية الشبلي عن الإمام السجاد عليه السلام: ﴿ فَحِينَ تَجَرَّدْتَ عَنْ مَخِيطِ ثِيَابِكَ نَوَيْتَ أَنَّكَ تَجَرَّدْتَ مِنَ الرِّيَاءِ والنِّفَاقِ والدُّخُولِ فِي الشُّبُهَاتِ؟ قال: لا ﴾[٢].

ب- العبور من الدنيا

وهذه الحالة مهمة جداً في أنْ تستشعر حال الحركة من البلد نحو الديار المقدسة، لأنَّ الناسك لا يدري ما هي أسباب عدم ارتباطه بالحق تعالى والعالم العلوي، ومن باب الإحتياط يحاول أنْ يخرج ويجتاز هذه الدار برمّتها، فهو بعبوره من الدنيا يخفف من تثاقله في مسيرته إلى الله، فيعرج في سماء الطاعة حتى يستشعر المُطاع تبارك وتعالى.

ج- بلا حجاب

قد تُعدّ هذه الملابس مظهراً للإحتجابات، إذ الكثير يتعلق بها فتكون شغلاً زائداً له يحجبه عن الإتصال بالملكوت الأعلى، وقد خاطب الله عز وجل كليمه الكريم: ﴿ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾[٣]، وقد أمره تعالى بذلك لكي يتلائم مع تقديس المكان والمقام.

---

١ أوضحنا هذا المطلب في الرشحات في آخر مراتب التوبة.

٢ مستدرك الوسائل ج ١٠ ص ١٦٦.

٣ سورة طه: الآية ١٢.

وأما اللبس ففيه أمور:

أ- لباس التقوى

هذا اللباس خلِّيٌ من أيِّ زوائد، إذ أنَّه لم يُخَط ولم يُقصَّ بمقص، يعني الخلو من كل ما يخالف وهو عين التقوى، فهو خالٍ من أيِّ لون. والأبيض فيه ليس بلون بل هو عدم اللون -كما قيل-، إنَّ لباس الإحرام لخلوه من باقي الأصباغ اصطبغ بصبغة الله؛ ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾[1].

ب-إنَّه كفن

إنَّ لبس ثوبي الإحرام تذكير بلبس الكفن، فهو متوجه إلى موته الإختياري ليقبُر كل متعلقات المادة والدنيا، إنَّه اللباس البسيط الذي يذكِّر ويهيِّئ للسفر الأبدي. يقول الملا محسن الفيض الكاشاني قدس سره: « وليتذكَّر عند لبس ثوبي الإحرام لبس الكفن ولفّه فيه، وأنّه سيلقى اللهَ ملفوفاً في ثياب الكفن لا محالة، فإنَّه كما لا يلقى بيت الله مخالفاً عادته في الزيِّ والهيئة، فلا يلقى الله بعد الموت إلا في زي مخالف لزيِّ الدنيا. وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب ليس فيه مخيط كما لا يخاط الكفن »[2].

ج- رداء المعنى

في الحديث القدسي: « الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، والعظمة إزاري »[3]، وهما [illegible] المظاهر [illegible] وجل لا [illegible] به، وبالمقابل لا بدَّ أنْ يلبس المحرم من مطلق [illegible] من [illegible] بالتواضع والخشوع والانقياد والنحر.

---

[1] البقرة: الآية ١٣٨.

[2] الحقائق ص ١٨٠.

[3] مستدرك الوسائل ج ١٢ ص ٣١.

صلاة الإحرام

وهي ركعتان يصليهما الناسك ثم يعقد الإحرام، والسرّ في هذه الصلاة أنّ المحرم يكون فيها بين يدي الله عز وجل حاضراً بكلّه. بمعنى أنّه يحل في باب الحرم المقدس ويقف ليرى أهليته. وحال الناسك هنا صعب جداً فهو قد أنهى الغسل ولبس الإحرام بالمعنى المتقدم، والآن يصلي، فتراه متقلّب القلب يريد جهة يفرّ إليها من الله ومواجهته ولكن لا يجد إلا الله « هَارِبٌ مِنْكَ إِلَيْكَ »[1]، فيُسلم أمره لربهٌ ويقطع العهد له بأنْ يكون وقفاً عليه. وفي رواية الشبلي عن الإمام السجاد عليه السلام: « فَحِينَ صَلَّيتَ الرَّكْعَتَيْنِ نَوَيْتَ أَنَّكَ تَقَرَّبْتَ إِلَى اللَّهِ بِخَيْرِ الأَعْمَالِ مِنَ الصَّلَاةِ وأَكْبَرِ حَسَنَاتِ الْعِبَادِ؟ قال: لا »[2].

الثاني: التلبية

هي نداء: « لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ » كما ورد في أعمال الناسك ويكون به قصد انعقاد الإحرام، وهي لغةً الإجابة إلى من نادى، ولكنها هنا الإجابة الخالصة لله عزّت آلاؤه. عن الإمام الصادق عليه السلام: « وَلَبِّ بِمَعْنَى: إِجَابَةٍ صَافِيَةٍ خَالِصَةٍ زَاكِيَةٍ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي دَعْوَتِكَ لَهُ، مُتَمَسِّكاً بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى »[3] وفي مجال بيان أسرارها نذكر نقاطاً:

جواب دعوة الله عز وجل

عن سليمان بن جعفر قال سألتُ أبا الحسن[4] عن التَّلبية وعِلَّتها، فقَالَ: « إنَّ النَّاسَ إذا أحرموا نَادَاهُمُ اللَّهُ عز وجل فقالَ: عِبَادِي وإِمَائِي لأُحَرِّمَنَّكُمْ عَلَى النَّارِ كَمَا أَحْرَمْتُمْ لِي، فقولُهُم: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ: إجابةً لله عَزَّ وجلَّ على نِدائِهِ لَهُم »[5]. وهذا الجواب لله عز وجل هو

---

[1] مصباح المتهجد ج٢ ص٥٨٤

[2] الوسائل ج١٠ ص[illegible]

[3] مصباح الشريعة ص٤٨.

[4] علي بن موسى الرضا (ع).

[5] من لا يحضره الفقيه ج٢ ص١٩٦.

السبب في تسمية التلبية بهذا الإسم فقد ورد عن الإمام الباقر﴿ع﴾ عندما سُئِل: لِم سُمِّيَتِ التَّلْبِيَةُ تَلْبِيَةً؟ قَالَ: ﴿ إِجَابَةً: أَجَابَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ رَبَّهُ ﴾[1].

فمن المهم إذاً استشعار المنادي حين الجواب بالتلبية، لأنَّ التلبية ليست جواباً لله تعالى وحسب، بل إنَّ لها جواباً أيضاً، وهذا استحضار آخر أو بالأحرى هو إستحضارٌ دائم حال التلبية ووقت التلبية لأنَّ النداء والجواب متبادلان مستمران، بل إنَّ الناسك يحدّد مصير قبول حجِّه في هذه النقطة الإبتدائية؛ إذ لَعَلَّ الله عز وجل لا يريده أنْ يحلّ بدياره، فمسألة تهيئة النفس للحج تهيئةً كاملة عامل مهم جداً، فما ذكره الفقهاء أعزهم الله من شرطية تحقق الاستطاعة والزاد والراحلة وتخلية السرب: لا بدَّ أنْ يضاف له هنا في -المجال المعنوي- الإستطاعة النفسية وزاد التقوى وبراق العروج والتخلص من حجب النفس الظلمانية والنورانية، لكي يسمع جواب التلبية فيكون أهلاً لدخول الحرم، فقد ورد عن الإمام زين العابدين ﴿ع﴾ أنه لَمَّا أَحْرَمَ وَاسْتَوَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ اصْفَرَّ لَوْنُهُ، وَوَقَعَتْ عَلَيْهِ الرِّعْدَةُ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُلَبِّيَ، فَقِيلَ: أَلا تُلَبِّي؟ فَقَالَ: ﴿ أَخْشَى أَنْ يَقُولَ لِي: لا لَبَّيْكَ وَلا سَعْدَيْكَ، فَلَمَّا لَبَّى خَرَّ مَغْشِيّاً عَلَيْهِ وَسَقَطَ عَنْ رَاحِلَتِهِ، فَلَمْ يَزَلْ يَعْتَرِيهِ ذَلِكَ حَتَّى قَضَى حَجَّه ﴾[2].

يقول الإمام الخميني ﴿قدس سره﴾: ﴿إنَّ حقيقة التلبية (لبيك اللهم) التي تكرر عدة مرات من الإنسان، هي الإستجابة لدعوة الله بالإسم الجامع، والإستماع بالروح لنداء الحق: فالمسألة هي مسألة الحضور بين يدي الله ومشاهدة جمال المحبوب. ويقال أنَّ الملبّي في هذه الساحة المقدسة يتجاوز ذاته ليفنى وهو يكرر استجابته للدعوة، ويعقب ذلك بنفي الشريك لله بالمعنى المطلق الذي يعلمه أهل الله وليس نفي الشريك في الألوهية فقط؛ هذا وإنْ كان نفي الشريك في هذا المقام أيضاً شاملاً لجميع المراتب حتى فناءِ العالم في نظر أهل

---

١ بحار الأنوار ج١٣ ص١٠.

٢ عوالي اللآلي ج٤ ص ٣٥.

المعرفة، ومشتملٌ على جميع الفقرات الواجبة والإحتياطية مثل فقرة (الحمد لك والنعمة لك).

والحمد هنا مختص بالذات المقدسة، وكذلك النعمة ونفي الشريك؛ وهذا هو غاية التوحيد عند أهل المعرفة ﴾[1].

٢- ترك كل معصية

إجابةُ دعوة الله عز وجل يعني عدم إجابة دعوة غيره خصوصاً الشيطان وعمّاله وأهواء النفس الأمارة، وإلا لم يخرج بعدَ تعبِ الحج بشيء، ففي رواية الشبلي عن الإمام السجاد عليه السلام في هذا المورد: ﴿ فَحِينَ لَبَّيْتَ نَوَيْتَ أَنَّكَ نَطَقْتَ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ بِكُلِّ طَاعَةٍ وصُمْتَ عَنْ كُلِّ مَعْصِيَةٍ؟ قال: لا ﴾[2].

٣- الشباهة مع إبراهيم عليه السلام

من المعروف أنَّ الحج يسمى بالحج الإبراهيمي، لأنَّ طريقته صارت واضحة في أيام إبراهيم عليه السلام كما نقل من أنَّه هو الذي رفع القواعد من البيت وجعله مطافاً، وزوجه هاجر هي التي سعت وانفجر ماء زمزم لها كرامة لإسماعيل عليه السلام كما في بعض الروايات، وذبح الأضاحي لأجل ذلك الكبش العظيم الذي فدى به الله عز وجل إسماعيل عليه السلام، ورمي الجمرات الثلاث حينما صادفه الشيطان في طريقه لذبح إسماعيل عليه السلام وهكذا ...

وهذا كلُّه مثبت في محلّه وقد نطق به التنزيل في آيات كثيرة، لكن الذي نريد أنْ نذكره هنا هو أنَّ إبراهيم عليه السلام مرّ بعدّة مراحل في حياته حتى صار إماماً ومسلَّماً عليه من قبل الله تعالى ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[3]، وفي هذه المراحل اتضح حلمه وصبره وشكره وابتهاله وإنابته، وهذه كلها تعني أنَّه قطع كلّ شيء يقطعه عن الله عز وجل، ونحن إنَّما نورد ذلك لأجل أنْ يتعلم

---

١ أبعاد الحج في فكر الإمام الخميني قدس سره.

٢ مستدرك الوسائل ج ١٠ ص ١٦٧.

٣ سورة الصافات: الآية ١٠٩.

الناسك أنَّه كذلك يكون بتلك الأوصاف، لأنَّ التلبيةَ ليست بالأمر الهيّن، وإخلاء بيت القلب من كل ما سوى الله أمرٌ صعب خصوصاً إذا انقطعت السبل بالإنسان وأراد حينها أنْ يتشبّث ولو بقشّة، ففي هذه الحالة يُعرف المؤمن الحقيقي المنصرف عما سوى الله إلى الله فقط.

فإبراهيم عليه السلام وَصَفَهُ القرآن الكريم بتلك الأوصاف وأخبر عنها بالأخبار التالية، وبالأخره صارت نتيجة ذلك لياقتَه بساحة الحق تبارك وتعالى.

قال عزّ من قال: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾[1] ووصفه تعالى بأنَّه عليه السلام صدّيق: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾[2]، وهو الذي له معاملة خاصة وابتلاء دقيق مع الله عز وجل لذلك حباه بإتمام الكلمات: ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾[3]. وهو الذي كسّر جميع أصنام الخارج والداخل: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴾[4]، وهو المعطى صفة إحياء الموتى في قضية الطيور، ونتيجة ذلك كلّه أنَّه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[5] إلى أنْ وصل مقام أنْ سلم عليه تبارك وتعالى: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[6].

وأبرز مظاهر الإرتباط بالحق تبارك وتعالى والتوجه إليه تعالى وحده هو ما ورد في قصة إلقاء إبراهيم عليه السلام عِنْدَمَا رُمِيَ بِهِ فِي النّار فَتَلَقَّاهُ جَبْرَئِيلُ فِي الْهَوَاءِ فَقَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ؟ فَقَالَ: ‹ أَمَّا إِلَيْكَ فلا، حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. فَاسْتَقْبَلَهُ مِيكَائِيلُ فَقَالَ: إِنْ أَرَدْتَ أَخْمَدْتُ النَّارَ، فَإِنَّ خَزَائِنَ الأَمْطَارِ وَالْمِيَاهِ بِيَدِي. فَقَالَ: لا أُرِيدُ. وَأَتَاهُ مَلَكُ الرِّيحِ فَقَالَ: لَوْ شِئْتَ طَيَّرْتُ النَّارَ. قَالَ: لا أُرِيدُ. فَقَالَ جَبْرَئِيلُ: فَاسْأَلِ اللَّهَ. فَقَالَ: حَسْبِي مِنْ سُؤَالِي عِلْمُهُ بِحَالِي ›[7].

---

١ سورة هود: الآية ٧٥.

٢ سورة مريم: الآية ٤١.

٣ سورة البقرة: الآية ١٢٤.

٤ سورة الأنبياء: الآية ٥٧.

٥ سورة الأنعام: الآية ٧٥.

٦ سورة الصافات: الآية ١٠٩.

٧ بحار الأنوار ج٦٨ ص١٥٥-١٥٦.

نعم؛ من كان كذلك أجدر بأنْ يقول لبيك، وأجدر أنْ يقول الله عز وجل له كذلك.

يقول مولوي:

آن یکـــــی الله مــــــی گفتـــــی شــــبی
تـــا کـــه شـیرین مـــی شـــد از ذکـــرش لبـــی
گفـــــت شــــیطان آخـــــر ای بســـــیار گـــــو
ایــــــن همـــــــه الله را لبیــــــك کـــــو؟
مـــی نیابـــد یـــك جـــواب از پـــیش تخـــت
چنـــــد الله مـــــی زنــــی بــــا روی ســــخت
او شکســــــته دل شــــــد و بنهــــــاد ســــر
دیـــــد در خـــــواب او خِضـــــر را در خَضَـــــر
گفـــت هـــین از ذکـــر چـــون و امانـــده ای
چـــون پشـــیمانی از آن کـــش خوانـــده ای
گفـــــت لبـــیکم نمـــی آیـــد جـــواب
ز آن همـــی ترســـم کـــه باشـــم رد بــــاب
گفــــــت آن الله تـــــو لبیـــــك ماســــــت
و آن نیـــاز و درد و ســـوزت پیـــك ماســـت
حیلــــه هــــا و چــــاره جوییهــــای تــــو
جـــذب مـــا بـــود و گشـــاد ایـــن پـــای تـــو
تـــرس و عشـــق تـــو کمنـــد لطـــف ماســـت
زیـــر هـــر یـــارب تـــو لبیـــك هاســـت[1]

---

١ مثنوی معنوی دفتر سوم الأبيات ١٨٩ ـ ١٩٧.

يعني:

كان أحدهم يهتف يا الله، ذات ليلة، لكي يحلّي شفتيه بذكره.

فقال له الشيطان: آخر الأمر أيّها الثرثار أين لبيك، لكل هذا التضرع بـ (يا الله).

إنَّه لا يتأتى جواب من أمام العرش، وأنت لازلت تكرر (يا الله) بإلحاح.

فانكسر قلبه وطأطأ رأسَه، فرأى في منامه الخضر يتمشى في الخضرة.

فقال له: إنتبه! كيف انصرفت عن الذكر، وكيف ندمت على دعائك؟.

فقال: لا يأتي جواب بـ (لبيكم)، ومن هنا أخاف أنْ أكون مردوداً عن الباب.

قال: إنَّ (الله) منك هي نفسها (لبيك) منا، وتضرعك وألمك وحرقتك هي رسولنا إليك.

وإنَّ جهدك وسعيك هو من جذبنا لك، وهو الذي (في الوقت نفسه) فكٌّ لقدميك.

خوفك وعشقك حبل لطفنا، إنّ تحت كلّ (يا رب) منك عدداً من (لبيك).

وهذا الذي ذُكر يوضّح لنا حال الإمام زين العابدين عليه السلام عندما وقع مغشياً عليه في الرواية المزبورة، إذ أنّ نفس نداءه تبارك وتعالى تحقيق للوصول ورسالة لنا بأنَّ الله هو الذي أمرنا بنداءه وأدخلنا في حرمه، وهو الذي جعلنا مشغولين بذكره، وهذا بحدّ ذاته يعدّ قبولاً منه تعالى بمقتضى رأفته عزّ إسمه.

٤- أنموذج الحياة

من المعلوم أنَّ التلبية التي نحن بصددها إنَّما تكون في الحج وفي الديار المقدسة، ولكن المؤمن له مع التلبية حشرٌ ونشر بمعنى أنَّه يتعامل مع التلبية كل يوم، ولَعَلَّه يلتفت إلى أكثر من ذلك خلال اليوم في أوقات التكاليف؛ خصوصاً في أوقات الصلاة، فحين سماعه لنداء حي على الصلاة ينادي: لبيك وسعديك؛ متوجهاً لأداء التكليف وتحقيق الكون بين يدي الحق تبارك وتعالى، وبالأخره يتحقق اللقاء.

أمّا العارفون والسالكون فتلبيتهم لا انقطاع لها، فهي دائمة في تمام عمرهم، لأنَّهم في المقام الربوبي المقدس، أعني أنَّهم منهجوا حياتَهم على الإستجابة وتلبية الدعوة باستمرار ودون انقطاع. وهذا هو معنى الكون الدائم في محضر الحق تبارك وتعالى، وهذا يعني أنّ كلّ

حياتهم وحركتهم في حياتهم تعني لبيك، فلبيك هنا ليس باللفظ بل بالفعل والعمل وهي امتثال قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[١].

ومنه يُعلم أنَّ:

أ- كل ما يصدر من الله ورسوله والأئمة المعصومين عليهم السلام ونوابهم هو نموذج للحياة.

ب- الإلتفات إلى ذلك الصادر، وأنَّه على نحو الدوام.

ج- إمتثاله بالدقة وبالكلية؛ لأنَّ فيه الحياة، فإنْ لم يكن بأيٍّ من الوضعين أو بكليهما تخلخلت الحياة أو انعدمت، بمعنى أنَّ حياة المرء منّا وموته واحد في هذه الحالة.

٥- ذوبان الذنوب

إنَّ قول لبيك يذيب الذنوب، ويسدّ طريق المعصية ويلغي آثارها، ويزيد في الإيمان، إنَّ قول لبيك يعني غروب نهار الذنوب، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿ مَا مِنْ حَاجٍّ يَضْحَى مُلَبِّياً حَتَّى تَزُولَ الشَّمْسُ إلا غَابَتْ ذُنُوبُهُ مَعَهَا ﴾[٢]. وعنه صلى الله عليه وآله: ﴿ مَنْ لَبَّى فِي إِحْرَامِهِ سَبْعِينَ مَرَّةً إيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ أَشْهَدَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ مَلَكٍ بِبَرَاءَةٍ مِنَ النَّارِ وَبَرَاءَةٍ مِنَ النِّفَاقِ ﴾[٣].

٦- أذكار الوجود

إنَّ الغور في معاني الآيات الشريفة يفتح لنا باب الإلتفات إلى حقيقة الأعمال وحقيقة الأشياء التي لطالما غفلنا عنها مع الأسف، وقد صرّح القرآن المجيد في أكثر من موضع بأنَّ للأشياء حقائق وراء ما ترون، وللأعمال أبعاد معنوية وراء ما تفعلون. فقد صرّح التنزيل بأنَ: ﴿ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾[٤] وذكر في مجال صخور الجبال: ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾[٥]

---

١ سورة الأنفال: الآية ٢٤.

٢ من لا يحضره الفقيه ج٢ ص ٢٢٢.

٣ الكافي ج٤ ص ٣٣٧.

٤ سورة الرحمن: الآية ٦.

٥ سورة البقرة: الآية ٧٤.

وذكر: ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ ﴾[1] وهذا يعني أنَّه: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾[2] وبالأخره: ﴿كُلٌّ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥ ﴾[3].

فهل علم كل منا ذلك، وهل تعقله وهل أحسَ دوامه، إنَ ذلك الأمر في غاية الأهمية. فابدأ به الآن سواء كنت في الحج أم لم تكن، وفيما يتعلق بهذا البُعد في التلبية روي عن النبي الأكرم ﷺ أنَّه قال: ﴿ما من ملبٍّ يلبي إلا لبّى عن يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مدر، حتى تنقطع الأرض هاهنا وهاهنا﴾[4].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿مَا مِنْ مُهِلٍ يُهِلُ فِي التَّلْبِيَةِ إِلا أَهَلَّ مَنْ عَنْ يَمِينِهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَى مَقْطَعِ التُّرَابِ وَمَنْ عَنْ يَسَارِهِ إِلَى مَقْطَعِ التُّرَابِ، وَقَالَ لَهُ الْمَلَكَانِ: أَبْشِرْ يَا عَبْدَ اللَّهِ، وَمَا يُبَشِّرُ اللَّهُ عَبْداً إِلا بِالْجَنَّةِ﴾[5].

الثالث: الطواف

عندما يدخل الناسك إلى مَكَّة يحس بالأمن بوضوح فتأخذه نسمة تحمل رائحة الرأفة الإلهية، فتجذبه إلى المسجد الحرام، فترى عينه وقلبه يتسابقان لرؤية البيت الحرام، وعندما يصل إلى حدّ المطاف لا يدري أَيَقِف ليملي عينيه من النظر إلى البيت، ولكنَ القلب يبقى في خفقان عجيب يريد أنْ يلتصق بجدار البيت لكي يهدأ، أو أنَّه يكفكف دموعه التي فقد السيطرة عليها، أو يحتقر نفسه لأنَّه أدرك عظمة البيت وهو الآن واقف أمامه فهو يرى العالم كله متجلٍ بهذه الزاوية التي يراها من البيت، أو أنَّه يخرّ مغشياً عليه لحيرته وفقره.

يقول الملا محسن الفيض الكاشاني قدس سره: ﴿وإذا دخل مَكَّة فليتذكر عندها أنَّه قد انتهى إلى حرم أمن، وليرجُ عنده أنْ يأمن بدخوله من عقاب الله وليخش أنْ لا يكون أهلاً للقرب فيكون

١ سورة الرعد: الآية ١٣.

٢ سورة الجمعة: الآية١.

٣ سورة النور: الآية ٤١.

٤ السنن الكبرى ج٥ ص٦٧.

٥ من لا يحضره الفقيه ج٢ص٢٠٣.

بدخول الحرم خائباً... وإذا وقع بصره على البيت فينبغي أنْ يحضُر عنده عظمة البيت في قلبه ويقدر كأنّه مُشاهدٌ لربّ البيت لشدة تعظيمه، وليرجُ أنْ يرزقه لقاءه كما رزقه لقاء البيت، وليشكر الله على تبليغه إيّاه هذه الرتبة وإلحاقه إيّاه بزمرة الوافدين إليه ﴾[1].

وبعدها يبدأ الناسك بالحجر الأسود يطوف ويحقق بطوافه دورة الوجود في قوس النزول والصعود، ويجعل البيت الحرام هو المركز، وكذا يحقق حركته في الأسفار الأربعة بأضلاع البيت الأربعة فيعمل على أنْ يستحضر ذلك في طوافه بأشواطه السبعة فإنْ حقّقه في الشوط الأول جعل الأشواط الأخرى تكراراً للسفر الرابع الذي هو الدوران داخل دائرة الخلق: والتي هي وظيفة كل سالك إلى الله عز وجل، وإنْ لم يحقق ذلك عمد إلى تحقيقه في الأشواط الباقية.

وأسرار الطواف تتضح من خلال النقاط التالية:

١- التشبه بالملائكة

نقدمَ منا ذكر الرواية المتعلقة بعلّة تسمية الكعبة بهذا الإسم ونعيد ذكرها هنا لأنَّ فيها شاهداً: رُوِيَ عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام أَنَّهُ سُئِلَ: لِمَ سُمِّيَتِ الْكَعْبَةُ كَعْبَةً؟ قَالَ: ﴿ لأنَّها مُرَبَّعَةٌ. فَقِيلَ لَهُ: وَلِمَ صَارَتْ مُرَبَّعَةً؟ قَالَ: لأنَّهَا بِحِذَاءِ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ؛ وَهُوَ مُرَبَّعٌ. فَقِيلَ لَهُ: وَلِمَ صَارَ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ مُرَبَّعاً؟ قَالَ: لأنَّهُ بِحِذَاءِ الْعَرْشِ ..... ﴾[2]. وهذه الرواية تبيّن موازاة البيت الحرام للعرش، قال تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ ﴾[3]، فالملائكة يطوفون حول العرش، وأشباههم -وهم الحجاج- يطوفون حول البيت، بل إنّنا نطوف مع الملائكة حول العرش أيضاً غايتهُ بقلوبنا، أمّا أجسادنا وأنفسنا فهي تطوف حول البيت ويشهد له ما عن الصادق عليه السلام: ﴿ وَطُفْ بِقَلْبِكَ مَعَ الْمَلائِكَةِ حَوْلَ الْعَرْشِ كَطَوَافِكَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ بِنَفْسِكَ حَوْلَ الْبَيْتِ ﴾[4].

---

١ الحقائق ص ٢٨١.

٢ علل الشرائع ج٢ ص٣٩٨.

٣ سورة الزمر: الآية ٧٥.

٤ مصباح الشريعة ص٤٨.

٢- طواف القلب

ذكرنا أنَّ القلب يطوف مع الجسد حول البيت وكذا يطوف حول العرش، لأنَّ طواف القلب له بُعد آخر، فهو طواف حول قلب الإنسان الكامل ليكتسب منه صفاته فيكون مثله بدورانه حوله. يقول الملا محسن الفيض الكاشاني: ﴿وليعلم أنَّ الطواف الشريف هو طواف القلب بحضرة الربوبية، وأنَّ البيت مثال ظاهر في عالم الشهادة للقلب الذي لا يشاهد بالبصر وهو في عالم الغيب، وأنَّ عالم الملك والشهادة مدرجة إلى عالم الغيب والملكوت لمن فُتح له الباب﴾[1].

٣- الطهارة من شهود الغير

تقدم أنَّ الطهارة على مراتب، وما يراد تحقيقه هنا هو الطهارة عن الأغيار، بحيث يكون القلب كما أراد هو تعالى خالياً عما سواه ﴿ الْقَلْبُ حَرَمُ اللَّهِ، فَلا تُسْكِنْ حَرَمَ اللَّهِ غَيْرَ اللَّهِ ﴾[2]. فإنْ كان القلب كذلك كان هو الكعبة الحقيقية، فيطاف حوله بعدما كان يطوف. فالقلب يحتاج إلى يدٍ عَلَويةٍ لتُكَسِّرَ الأصنامَ التي فيه؛ حتى لا يكون ولا يُعبَدُ فيه إلا الله عز وجل. وهذا سيّد الشهداء أبو عبد الله عليه السلام يصرح بأنَّ: ﴿ تَرَدُّدِي فِي الآثَارِ يُوجِبُ بُعْدَ الْمَزَارِ ﴾[3].

إنَّ الناسك الحقيقي هو الذي يكون طوافه حول البيت لا لأجل نفس البيت بل لأنَّه قاصد لربِّ البيت، فلا مشهود إلا ربّ البيت.

٤- حديث الشمع والفراشة

هنالك تشبيه في الشعر العرفاني الفارسي ذَكَرَه الكثير يسمى: حديث الشمع والفراشة، وحاصله: إنَّ الفراشة دائماً تدور حول ضوء الشمعة، لأنَّ بينها وبينه إرتباط وثيق قد يصل إلى حدّ عدم الإستغناء، فما تفتأ الفراشة تدور حول لهب الشمعة سابحة في نورها ودفئها غير مبالية بمن حولها ولا بما يمكن أنْ يحدث لها، وقد تصل الحالة إلى درجة أنَّ طرف جناح الفراشة

---

١ الحقائق ص٢٨٢.

٢ بحار الأنوار ج٦٧ ص٢٥.

٣ دعاء عرفة.

يحترق من لهب الشمعة، وقد يحترق الجناح بأكمله أو تحترق الفراشة كلها; ولكنها تمضي في دورانها بفم صامت وقلبٍ ينادي لبيك يا رب منك وإليك.

يقول افشين يد الله:

در آتـــش پروانـــه پـــرواز نمـــى ميـــرد
بـــا بســتن لــب هرگـــز آواز نمـــى ميـــرد

يعني:

إنَّ الفراشـــة فـــي النـــار ولا يفنـــى طيرانهـــا
ومـــع شـــفة مســـدودة هيهـات أنْ يمـوت الصـراخ

وهذا الحال الذي تمرّ به الفراشة هو حال من ذاق حلاوة الوصل فاستذوقه وأبى أنْ يفارقه، ووصل إلى حدً أنَّه يضحيَ بكيانه ووجوده من أجل ذلك الوصل، وهذا ما أراده أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: ﴿فَهَبْنِي يَا إِلَهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلايَ وَرَبِّي، صَبَرْتُ عَلَى عَذَابِكَ؛ فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَلَى فِرَاقِكَ﴾[1].

والناسك حاله كذلك، فهو يطوف حول الكعبة بهذا المعنى لأنَّه يمركز حياته ووجوده وكيانه وشؤونه حول هذه النقطة (الكعبة المشرفة) فهو بهذا الدوران يعمل كما يعمل جهاز الطرد المركزي الذي يخلّص السوائل من الزوائد ويعزل مركّباته، فيتوجّه بتجرّده نحو ذلك المركز ويطرد ما يعيقه، وآثار كثرة الطواف كثيرة وعميقة لا يحصيها أو يسبرها إلا من طاف وأدرك.

يقول الشيخ البهائي قدس سره:

پروانـــه در آتـــش شـــود و اســـرار عيـــان ديـــد

يعني:

إنَّ الفراشـــة صـــارت فـــي النـــار ورأت الأســـــرار عيانـــــاً

---

[1] دعاء كميل.

وما أجمل ما قيل:

به شمع كعبه بس پروانه ديدم   هزاران عاشق ديوانه ديدم
چه شمعى اين همه پروانه دارد   چه دلبر اين همه ديوانه دارد
همه افسرده خاطر، دل شكسته   به روى گونه شان اشكى نشسته
زن و كودك هزاران در هزاران   همه گريند چون ابر بهاران
بسى مجنون در صحرا دويده   به شادى در بر ليلى رسيده

يعني:

رأيت فراشةَ شمع الكعبة
ورأيت آلاف العشاق المجانين
أيُّ شمع هذا الذي له الكلُّ فراشات
أيُّ محبوب هذا الذي له الكلُّ مجانين
الكل كئيبو الخاطر مكسورو القلب
قد تربعت الدموع على خدودهم
النساء والأطفال آلاف في آلاف
كلهم يبكون كمطر الربيع
ما أكثر ما ركض المجنون (قيس) في الصحراء
إلى أنْ وصل إلى فرصة لقاء ليلى

٥- مدن العشق السبع

عرفت في الفقه أنَّ عدد الأشواط في الطواف سبعة، ولها أحكامها في حالة الشك في عدد الأشواط، وقد ذُكرت هناك مسألة الإتمام إلى سبعة أو يطوف أسبوعاً، فمسألة الحفاظ على سبعة أشواط في الطواف من ضروريات الحج، وهذا العدد له أسراره، فقد ذكر القرآن الكريم هذا

العدد في أكثر من مورد مثل: ﴿ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ ﴾[١]، و﴿ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي ﴾[٢]، و﴿ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ ﴾[٣]، بالإضافة إلى ما ورد من أنَّ للقرآن بطون سبعة وغير ذلك. والسبب في كون الأشواط في الطواف سبعة عدة تفسيرات يمكن الإعتماد عليها واستحضارها خلال الطواف، وهي:

أ- إنَّ الإنسان له سبعة أخلاق سيئة أساسية[٤]، بمعنى سبعة حجب تمنعه من تحقيق الطواف الحقيقي وهذه الحجب السبعة هي: العجب، الكبر، الحسد، الحرص، البخل، الغضب، الشهوة.

والناسك السالك لا بدَّ أنْ يبدل هذه الأخلاق الرذيلة بسبعة أخلاق حميدة وهي: العلم، الحكمة، العفة، الشجاعة، العدالة، الكرم والتواضع. وهذا التبديل لا يتم إلا بالطواف سبعة أشواط، فيحصل التبديل لكل صفة بكل شوط.

ب- إشارة إلى الأقاليم الإلهية السبعة المعبّر عنها بالأفلاك السبعة وهي أطوار الخلقة التي قال فيها القرآن الكريم: ﴿ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ﴾[٥]، والأشواط السبعة هي التقلب في المراحل السبعة والسير فيها إلى حد اكتمال الخلقة التي فيها بداية قوس الصعود، فالإنسان بعد اكتمال خلقته بقوس النزول، وحصوله على أكمل مراتب الوجود البشري وهي ولادته الأُولى، ويدخل في طور الولادة الثانية التي أفصح عنها روح الله عيسى عليه السلام بقوله: ﴿ لَنْ يَلِجَ مَلَكُوت السمَاواتِ مَنْ لَمْ يُولَد مَرَّتَين ﴾[٦]، وهي بداية القوس الصعودي إلى أنْ تكتمل دائرة الوجود بكلا القوسين.

---

١ سورة المؤمنون: الآية٨٦.

٢ سورة الحجر: الآية٨٧.

٣ سورة لقمان: الآية ٢٧.

٤ وهذه تعدَ أمهات الرذائل وتنطوي تحتها رذائل أخرى.

٥ سورة نوح: الآية ١٤.

٦ شرح أصول الكافي (صدرا) ج١ ص٣٦١.

ج- الأشواط السبعة إشارة إلى الحجب السبعة، وهذه الحجب غير التي ذكرت في التوجيه الأول، لأنَّ تلك الحجب ظلمانية، وهذه الحجب حجبٌ نورانية. فالناسك في طوافه لا بدَّ أنْ يتخلص من الحجب بكلا القسمين الظلمانية والنورانية، والوجه في كون هذه الحجب نورانية، لأنَّها حجبت الكائنات النورانية الصرفة التي لا تعرف المعصية وهم الملائكة، وقد أشار إليها سيد الساجدين عليه السلام في سؤال أبي حمزة الثمالي قَالَ: قُلْتُ: لِمَ صَارَ الطَّوَافُ سَبْعَةَ أَشْوَاطٍ؟ قَالَ: ﴿لأنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وتَعَالَى قَالَ لِلْمَلائِكَةِ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1]، فَرَدُّوا عَلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وتَعَالَى وقَالُوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾[2]، قَالَ اللَّهُ: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[3]، وكَانَ لا يَحْجُبُهُمْ عَنْ نُورِهِ، فَحَجَبَهُمْ عَنْ نُورِهِ سَبْعَةَ آلافِ عَامٍ، فَلاذُوا بِالْعَرْشِ سَبْعَةَ آلافِ سَنَةٍ؛ فَرَحِمَهُمْ وتَابَ عَلَيْهِمْ، وجَعَلَ لَهُمُ الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، وجَعَلَهُ مَثَابَةً، ووَضَعَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ تَحْتَ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، فَجَعَلَهُ: ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾[4]، فَصَارَ الطَّوَافُ سَبْعَةَ أَشْوَاطٍ وَاجِباً عَلَى الْعِبَادِ؛ لِكُلِّ أَلْفِ سَنَةٍ شَوْطاً وَاحِداً﴾[5].

د- إشارة إلى البطون السبعة للقرآن الكريم الواردة في قول النبي صلى الله عليه وآله: ﴿إِنَّ لِلْقُرْآنِ ظَهْراً وَبَطْناً، وَلِبَطْنِهِ بَطْنٌ؛ إِلَى سَبْعَةِ أَبْطُنٍ﴾[6] والناسك في كلِّ شوط يدور فيه حول الكعبة يدرك بطناً من بطونه ويعرف تأويل القرآن.

---

١ سورة البقرة: الآية ٣٠.

٢ سورة البقرة: الآية ٣٠.

٣ سورة البقرة: الآية ٣٠.

٤ سورة البقرة: الآية ١٢٥.

٥ علل الشرائع ج٢ ص٤٠٦-٤٠٧.

٦ تفسير الصافي ج١ ص٣١.

هـ - قد يراد بالأشواط السبعة هي الوديان السبعة التي ذكرها عطار، والتي يجب على السالك أنْ يقطعها في وصوله إلى الله، وقد فصلنا الكلام عنها في التأديبات العلوية فراجع.

و- للإنسان سبع لطائف ومراتب، يعبِّر عنها العرفاء بمدارج الإنسان. وهذه على وجوه ولحظات، فكل وجهٍ ولحاظ فيه سبعة، نذكر منها لحاظين وهي:

اللحاظ الأول: البطون السبعة

إنَّ للإنسان بحسب التكثر الباطني سبعة أبطن مرتّبة، ترقى تباعاً بعد قطع كل شوط وهي:

البطن الأول: مقام النفس

وهذه ناظرة إلى الحياة الدنيا وزخارفها الدنية، ومقتضاها الخلود في البهائم. قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾[1]، وصاحب هذا المقام لا حظَّ له في الآخرة، لأنَّه اكتفى بالمقام الدنيوي قال تعالى: ﴿ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾[2].

البطن الثاني: مرتبة العقل

إنَّ العقل يشتاق إلى اللذة الباقية، ولذا تراه يخرج من مرتع البهائم ويدخل في جمع الأنبياء والأولياء. والنفس هنا محكومة من قِبَل العقل، وهنا يقول: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[3].

١سورة آل عمران: الآية ١٤.

٢سورة البقرة: الآية: ٢٠٠.

٣سورة البقرة: الآية: ٢٠١.

البطن الثالث: مقام الروح

والسالك الناسك في هذا الموطن يحسّ بالأمان بحضور الحق تعالى، وهنا لا يلتفت إلا لوجود الحق تبارك وتعالى وإنْ وُجدت الكثرات.

يقول الإمام الحسين ﷺ: ﴿ وَمَحَوْتَ الأغْيَارَ بِمُحِيطَاتِ أَفْلاكِ الأنْوَارِ ﴾[1].

البطن الرابع: مرتبة السر الإنساني

والناسك السالك في هذه المرتبة يخرج من التعلّقات الكونية، ويدرك حقيقة فقره، فيتخلص من قيوده وينفض غبار عالم المُلك عن مرآة روحه، فيسطع فيها نور الأسماء، فيكون مظهراً للأسماء بمقدار قبول مرآته لانعكاس الأسماء فيها.

البطن الخامس: مقام الخفي

والناسك السالك هنا يقف على أسرار الباطن في مرآة التجلي وينقلب الغيب عنده شهود؛ فيرى الأسماء ويختفي فيها. قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[2].

البطن السادس: مقام الأخفى

والسالك الناسك في هذا المقام يسير في مظاهر التجليات ويتحقق بجميع الأسماء الظاهرة والباطنة ويصير مظهر إسم: ﴿ مَنْ لا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ ﴾[3] فيجول في عالم الحق تبارك وتعالى.

---

١ دعاء عرفة.

٢ سورة الحشر: الآيات ٢٢-٢٤.

٣ مصباح المتهجد ج١ ص٣٠٦.

البطن السابع: مقام التجلي الذاتي

وهذا المقام مختص بالنبي الخاتم وأهل بيته (عليهم السلام) فهو ناظر إلى مقام الواحدية والأحدية: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[1].

وهذه البطون هي بواطن كل شوط من أشواط الطواف، فالناسك يحصل على كل مقام بادراك بطن كل شوط.

اللحاظ الثاني: الأطوار السبعة

ونعني بها أطوار القلب المختلفة المرتبة، وفي كل طور عجائب ومعانٍ خاصة، إنَّ القلب والبدن مثل السماء والأرض فكل منهما سبع. ويختلف معدن الإنسان حسب طوره، وهذه الأطوار هي:

الطور الأول: الصدر

وهو معدن جوهر الإسلام. قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[2].

الطور الثاني: القلب

وهو معدن الإيمان. قال تعالى: ﴿كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾[3].

الطور الثالث: الشغاف

وهو معدن الحب والعشق. قال تعالى: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾[4].

الطور الرابع: الفؤاد

وهو معدن الشهود والرؤية. قال تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾[5].

---

١ سورة النجم: الآية ٩.

٢ سورة الزمر: الآية ٢٢.

٣ سورة المجادلة: الآية ٢٢.

٤ سورة يوسف: الآية ٣٠.

٥ سورة النجم: الآية ١١.

الطور الخامس: حبة القلب

وهو معدن محبة حضرة الألوهية.

هـــــواى ديگــــــرى در مـــــان گُنجـــــد

در ايــن ســر پــيش از ايــن ســودا نگُنجــد[1]

يعني:

لا يســــــــــعنا هــــــــــوى آخــــــــــر

ولا يســع فــي هــذا الــرأس غيــر هــذا العشــق

الطور السادس: السويداء

وهو معدن المكاشفات الغيبية والعلوم الدينية. قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ ﴾[2].

الطور السابع: محجّة القلب

وهي معدن ظهور أنوار تجليات الأسماء والصفات. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾[3]، بمعنى: إنّ هذه الكرامة لا تُقاس بكرامة أُخرى.

وبواسطة الأشواط السبعة للطواف تكتمل أعضاء السلوك على الحق تعالى التي يتحقق كلٌّ منها في شوط من أشواط الطواف.

صلاة الطواف

من واجبات الطواف هو صلاة الطواف وهي ركعتين بعده تكون خلف مقام إبراهيم عليه السلام

وتتصف هذه الصلاة بأنها:

١- صلاة الحاجة: بمعنى إنّها صلاة الإعتراف بالعبودية.

---

١ اسرار عرفانى حج ص٣٧٠.

٢ سورة البقرة: الآية ٣١.

٣ سورة الإسراء: الآية ٧٠.

لأنَّ الصلاة هي التي تجعل الإنسان في مقام العبودية والتي ستنقله وتعرج به إلى السماء، فهي معراج المؤمن الذي ينتقل به من عالم الملك إلى عالم الملكوت، فإنَّ لم يقرّ بعبوديته لله عز وجل فهذا يعني أنَّه لم يحققّ الفقر إلى الله، فهو لم يعترف بالحاجة له تعالى. وهذه الحالة لا تتناسب مع حال الناسك الذي قطع الأشواط السبعة بالمعاني المتقدمة، فإنْ لم يُتِمَّ طوافه بهذه الصلاة وبهذه الحالة التي ذكرناها (وهي الفقر والحاجة)؛ لم يكن قد طاف ولا أدى أيّاً من الأعمال، كيف وأنَّ كلَّ أعمال الحج أو جلّها هي رفضٌ لحكومة الشيطان، ففي رواية الشبلي عن الإمام زين العابدين عليه السلام: ﴿نَوَيْتَ حِينَ وَقَفْتَ عِنْدَ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام أَنَّكَ وَقَفْتَ عَلَى كُلِّ طَاعَةٍ وتَخَلَّفْتَ عَنْ كُلِّ مَعْصِيَةٍ؟ قال: لا. قال: فَحِينَ صَلَّيْتَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ نَوَيْتَ أَنَّكَ صَلَّيْتَ بِصَلاةِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام وأَرْغَمْتَ بِصَلاتِكَ أَنْفَ الشَّيْطَانِ؟ قال: لا. قال لَهُ: فَمَا صَافَحْتَ الْحَجَرَ الأَسْوَدَ، ولا وَقَفْتَ عِنْدَ الْمَقَامِ، ولا صَلَّيْتَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ﴾[1].

٢- صلاة الحضور

ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنَّه قال: ﴿الصَّلاةُ قُرْبَانُ كُلِ تَقِيٍ﴾[2]. الصلاة بصورة عامة هي رمز المثول بين يدي الحق، يعني الكون في محضره تبارك وتعالى. وهذه الحالة لا يمكن تحصيلها إلا بعد إدراك وعبور ما قبلها من مراتب الحضور وهي الحضور الحسي (وهو يتحقق بالتوجه نحو البيت الحرام وفي المكان المخصص للصلاة)، والحضور العلمي (وهو يتحقق باستحضار معاني ألفاظ وحركات الصلاة)، وهذه المرتبة التي نريد تحقيقها هي الحضور الوجودي والذي يعني أنْ لا يُلحظ إلا وجوده تعالى وتندرج في ذلك إلى أنْ لا يُلحظ حتى نفس اللحاظ، وهذا الكلام عام في جميع العبادات وخصوصاً الصلاة، أمّا في مقامنا وهو صلاة

---

١ مستدرك الوسائل ج ١٠ ص١٦٨.

٢ الكافي ج٣ ص٢٦٥.

الطوف فيكون تحقيق الحضور فيه أسهل وآكد، لأنَّه أمام البيت الحرام: فحسّه وعقله وقلبه وكل وجوده متوجهة نحو علامة الحق، وبالأخره نحو الحق تبارك وتعالى.

٣- صلاة الوصل والفناء

إذا تحقق ما تقدم في كون صلاةِ الطواف صلاةَ حضور، فالوصل على هذا سيتحقق. وأعني بالوصل هنا رجوع الحصة الوجودية للمصلي إلى من وَهَبَها كرجوع خيط الشمس إلى عين الشمس فهو وصل من جهة، ومن جهة فناء بالمعنى المزبور، فليس في البيت إلا هو.

٤- صلاة الولاية

ذكرنا معنى الولاية وما يرتبط بها وصفات الأولياء في التأديبات العلوية، ونعني بصلاة الولاية هنا: هو أنْ يصل الناسك بصلاته هذه إلى مرتبة أنْ يكون وليّاً لله تبارك وتعالى، فيكسب الأسماء والصفات ويجتاز العوالم والكثرات. ويسلّم أمره كلّه لله لكي يتولاه الله، ومن ثم يكون ولياً لله، فيتحقق بحقائق التوحيد ويؤدي صلاته كما أراد الحق تعالى.

السعي

والمقصود به السعي بين جبلي الصفا والمروة سبعة أشواط.

وفي سبب تسمية الجبلين ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿سُمِّيَ الصَّفَا صَفا لأنَّ الْمُصْطَفَى آدَمَ عليه السلام هَبطَ عَلَيْهِ فَقُطِعَ لِلْجَبَلِ إسْمٌ مِن إسْمِ آدَمَ عليه السلام لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا ﴾[1]، وهَبطَتْ حَوَّاءُ عَلَى الْمَرْوَةِ، فَسُمِّيَتِ الْمَرْوَةَ لأنَّ الْمَرْأَةَ هَبَطَتْ عَلَيْهِ، فَقُطِعَ لِلْجَبَلِ إسْمٌ مِنِ إسْمِ الْمَرْأَةِ﴾[2].

ومن المعروف في الفقه أنَّ الإبتداء يكون من الصفا، والإنتهاء على المروة. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سبب ذلك: ﴿أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ مِنْ إتْيَانِ الصَّفَا﴾[3].

---

١ سورة آل عمران: الآية ٣٣.

٢ من لا يحضره الفقيه ج٢ ص١٩٥.

٣ الكافي ج٤ ص٤٣١.

وللسعي آثار وأسرار نذكر منها:

١- طهارة الباطن

إنَّ السعي يوجب تطهير الباطن وزوال الذنوب ورفع سواد القلب، لتتجلى الأنوار الإلهية في باطن الناسك لتشرق على صفحات الظاهر. عن النبي الأكرم ﷺ: ﴿إنَّ الْحَاجَ إِذَا سَعَى بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ﴾[1].

٢- شفاعة الملائكة

عن الإمام زين العابدين عليه السلام: ﴿السَّاعِي بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ تَشْفَعُ لَهُ الْمَلائِكَةُ، فَتُشَفَّعُ فِيهِ بالإيجَابِ﴾[2].

٣- حبيب الله

جبارية الله عز وجل تليق بساحته، وكلما صح شيء له تعالى وجب[3]. فصفاته تعالى لا تليق إلا به، أمّا من اتسم بأيِّ صفة لله يكون قد بارزه وعانده وخرج عن حدود محبته، والمسعى يُذلُّ فيه الجبارون لذلك يكون محبوباً لله عز وجل. فكل من يذّل الجبارين يكون حبيبَ الله. عن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿مَا مِنْ بُقْعَةٍ أَحَبَ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمَسْعَى؛ لأَنَّهُ يُذِلُّ فِيهَا كُلَّ جَبَّارٍ﴾[4]، وعنه عليه السلام: ﴿جُعِلَ السَّعْيُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ مَذَلَّةً لِلْجَبَّارِينَ﴾[5].

٤- سعي إبراهيم عليه السلام

نُقل أنَّ السعي بين الصفا والمروة قد سُنَّ عندما ركضت هاجر بينهما حائرة لعدم تحصيل الماء وحرقة قلبها على إبنها، والحق أنَّ المسعى جعل لسعي إبراهيم عليه السلام، جاء ذلك في سؤال عَلِيٍّ

---

١ من لا يحضره الفقيه ج٢ ص٢٠٨.

٢ المصدر السابق ص٢٠٨-٢٠٩.

٣ هذه القاعدة معروفة في علم الكلام.

٤ الكافي ج٤ ص٤٣٤.

٥ المصدر السابق.

بْنِ جَعْفَرٍ أَخِيهِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عليه السلام فأجاب: ﴿جُعِلَ لِسَعْيِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام﴾[1] وقد ورد في عِلّة ذلك وكون هناك قطعة من المسعى للهرولة[2] ما عن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿صَارَ السَّعْيُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ لأنَّ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام عَرَضَ لَهُ إِبْلِيسُ، فَأَمَرَهُ جَبْرَئِيلُ عليه السلام فَشَدَّ عَلَيْهِ فَهَرَبَ مِنْهُ، فَجَرَتْ بِهِ السُّنَّةُ يَعْنِي بِالْهَرْوَلَةِ﴾[3] وعنه عليه السلام: ﴿وَهَرْوِلْ هَرْوَلَةً فَرّاً مِنْ هَوَاكَ وَتَبَرِّياً مِنْ جَمِيعِ حَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ﴾[4].

٥- الأشواط السبعة في السعي

إنّ عدد أشواط السعي سبعة أيضاً كأشواط الطواف، فكل حركة من جبل إلى آخر يعدّ شوطاً، وهذه الحركة ليست دورانية كالأشواط وإنّما تردّدية بين مكانين.

وهذه الأشواط السبعة لها معانٍ سبعة لأن في كلٍّ منها سير، وهي:

الأول: السير بين عالم الظاهر والباطن

فالسالك يرجع من عالم الكثرة إلى عالم الوحدة. ومن عالم الوحدة إلى عالم الكثرة، غايته يرجع رجوعاً حقياً كما هو مذكور في الأسفار الأربعة.

الثاني: السير بين الصفا والمروّة

الصفا إسم للطهارة من اللوث، وتجنّب أيَ نوع من أنواع الشك والترديد، والوصول إلى مقام اليقين.

والمروة مع الخلق يعني الصبر، ومع الحق الحاجة، فأهل المروة أهل الصبر والرضا والحاجة.

والنتيجة: إنّ السعي بين الصفا والمروة سعي بين المناجاة مع الله عز وجل والصبر مع الناس.

---

[1] قرب الإسناد ص٢٣٧.

[2] بين المصباحين الأخضرين.

[3] علل الشرائع ج٢ ص٤٣٢-٤٣٣.

[4] مصباح الشريعة ص٤٨.

الثالث: السير بين قوسي النزول والصعود

تقدم الكلام فيهما في أكثر من موضع في كتبنا، وما يرتبط بمقامنا أنَّ السعي بين الصفا والمروة حركة في حضرة الحق ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾[1].

الرابع: السير من الله إلى الله

وهو السفر الثاني من الأسفار الأربعة، وهذا يعني أنْ يكون المسير وأجواءه كلّها حقيّة، وفي هذه المرحلة ينغمر الناسك بالنور المطلق ويخرج من مطلق الظلمات بتحقيق مرتبة الولاية الإلهية: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾[2].

الخامس: السير بين الجمال والجلال

والمقصود منه أسماء الجلال وأسماء الجمال ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾[3]، وفي السعي بين الصفا والمروة يتحرك الناسك بين أسماء الجلال وأسماء الجمال لكي يكون مظهراً لجميع الأسماء في آخر السعي.

السادس: السير بين الدنيا والآخرة

والسالك الناسك ينتقل من الدنيا إلى الآخرة: ويرجع ليأخذ نصيبه من الدنيا، ويرجع إلى أنْ يذهب منها ولا يرجع: ﴿إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ﴾[4]

السابع: التردّد بين الخوف والرجاء

التردّد بين الخوف والرجاء يعني التردد بين اليد التي تمسح على الرأس وتعطي، وبين اليد التي تحمل السوط وتمنع. والنصوص الشرعية مشحونة بالدعوة إلى التردد بين الخوف والرجاء، لكي يتحقق التوازن في النفس والعقل، عن الإمام السجاد [illegible] أستحيي من الصفا

---

١ سورة البقرة: الآية ١٥٦.

٢ سورة البقرة: الآية ٢٥٩.

٣ سورة الإسراء: الآية ١١٠.

٤ سورة غافر: الآية ٣٩.

والْمَرْوَةِ ومَشَيْتَ وتَرَدَّدْتَ بَيْنَهُمَا؟ قال: نَعَمْ. قال لَهُ: نَوَيْتَ أَنَّكَ بَيْنَ الرَّجَاءِ والْخَوْفِ؟ قال: لا. قال: فَمَا سَعَيْتَ ولا مَشَيْتَ، ولا تَرَدَّدْتَ بَيْنَ الصَّفَا والْمَرْوَةِ ﴾[1].

يقول الملا محسن الفيض الكاشاني قدس سره: ﴿وأمّا السعي بين الصفا والمروة في فناء البيت فيضاهي تردد العبد بفناء دار الملك جائياً وذاهباً مرة بعد أخرى؛ إظهاراً للخلوص في الخدمة ورجاءً للملاحظة بعين الرحمة، كالذي دخل على المَلِك وخرج وهو لا يرى ما الذي يقضي الملك في حقه من قبول أو ردّ﴾[2].

يقول الإمام الخميني قدس سره: ﴿أثناء سعيكم بين الصفا والمروة إسعوا سعي من يريد الوصول إلى المحبوب، حتى إذا ما وجدتموه هانت كل الأمور الدنيوية، فتنتهي كل الشكوك والترددات وتزول كل المخاوف والحبائل الشيطانية وتزول كل الإرتباطات القلبية المادية، وتزدهر الحرية وتنكسر القيود الشيطانية الطاغوتية التي أَسَرَتْ عباد الله﴾[3].

التقصير

وهذا العمل وظيفة المعتمر مطلقاً والحاج غير الصرورة. والتقصير فيه تمرين كل الطاعات بتقريب: إنَّ أخذ شيء من الشعر أو الظفر وهو مسألة يسيرة قد لا يُفهم كيف تكون هي السبب في الإحلال من الإحرام حسب الظاهر، غايته أنَّ الأمر قد توجّه بذلك، فامتثال الأوامر وفعل الطاعات في هذه المسائل اليسيرة ظاهراً علامة واضحة على طاعة العبد لربّه وتسليمه له بكل ما يأمره به. هذا من جهة، ومن جهةٍ أخرى؛ إنَّ التقصير الذي يفعله الناسك ظاهراً يدل على تشذيب وتهذيب نفسه من الباطن، وسيأتي في الكلام عن الحلق أنَّ إسقاط الشعر يعني النور الظاهر من الباطن.

---

١ مستدرك الوسائل ج ١٠ ص ١٦٩.

٢ الحقائق ص٢٨٣.

٣ أبعاد الحج في فكر الإمام الخميني قدس سره.

عرفات

وهو أول المنازل بعد إحرام الحج الذي تقدُمه الغسل والإحرام والنية، فهو التهئية للدخول في حضور جديد، غايته ليوم موعود يحصل فيه لقاء الموعود الذي هو مظهر الإنسان الكامل. ففي عرفات تتجسد الأسماء والصفات في شخص صاحب الأمر روحي فداه؛ الذي دلت الروايات أنَّه يحضر في عرفات كل عام، ورد عن نائب الإمام مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ الْعَمْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: ﴿وَاللَّهِ إِنَّ صَاحِبَ هَذَا الأَمْرِ لَيَحْضُرُ الْمَوْسِمَ كُلَ سَنَةٍ، يَرَى النَّاسَ وَيَعْرِفُهُمْ، وَيَرَوْنَهُ وَلا يَعْرِفُونَهُ﴾[1]. وما عدم رؤيتنا له إلا لعدم تناسب العين الكثيفة مع وجوده الملكوتي، ولو حاولنا خلال الغسل والإحرام وصدق النية تصفية النفس إلى أعلى درجة لرأيناه وعرفناه.

البعد المعنوي لعرفات:

١- إنَّه موقف المعرفة والبصيرة

ذكرنا معنى المعرفة والبصيرة في بطون الكتب العلويات، والمراد بها هنا هو: تجلّيهما في الناسك بحيث يرجع الناسك إلى جنبته المجردة التي كان عليها في العوالم القبلية حيث لم تكن مادة فكيف بما يرتبط بالمادة من الملبس والمكان، ويسترجع موقفه في عراص عالم الذر بوقوفه في عراص عرفة، ويؤكد العهد الذي قطعه بربوبية الحق تبارك وتعالى، ويرى كلَّ من حوله وما حوله مجرداً؛ وعندها ستتوحد سنخية الكلّ وتتجلى المعارف وتنفتح البصيرة، ويصير السرُّ علناً والغيبُ شهوداً، ويتميز كلُّ مخلوق عن غيره بمقدار تجرّده، وبالأخره إتصاله وتسبيحه، وهنا يبرق نور المجرد الأصفى والموجود الأعلى لذوي العيون النظيفة والقلوب الصقيلة، فيرى إمام زمانه ينظر إليه فيسرع إلى تراب قدمه فيقبّله، ويتحقق حجّه بالكامل بهذا الفعل ولَعَلَّ هذا أحد وجوه كون ﴿الحج عرفات﴾[2]. وإلا فأيّ معرفة دون معرفة إمام الزمان، وأيّ بصيرة لا تكشف وجود سرِّ الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام.

---

١ من لا يحضره الفقيه ج٢ ص٥٢٠.

٢ سنن الترمذي ج٥ ص٢١٤.

وفي حديث الشبلي عن الإمام السجاد عليه السلام: ﴿ هَلْ عَرَفْتَ بِمَوْقِفِكَ بِعَرَفَةَ مَعْرِفَةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَمْرَ الْمَعَارِفِ والْعُلُومِ، وعَرَفْتَ قَبْضَ اللَّهِ عَلَى صَحِيفَتِكَ واطِّلاعَهُ عَلَى سَرِيرَتِكَ وقَلْبِكَ؟ قال: لا ﴾[1].

وقد ورد في عِلّة تسمية الوادي بعرفات ما عن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿ إِنَّ جَبْرَئِيلَ عليه السلام خَرَجَ بِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام يَوْمَ عَرَفَةَ، فَلَمَّا زَالَتِ الشَّمْسُ قَالَ لَهُ جَبْرَئِيلُ: يَا إِبْرَاهِيمُ اعْتَرِفْ بِذَنْبِكَ وَاعْرِفْ مَنَاسِكَكَ، فَسُمِّيَتْ عَرَفَاتٍ لِقَوْلِ جَبْرَئِيلَ عليه السلام: اعْتَرِفْ، فَاعْتَرَفَ ﴾[2].

٢- وادي الهيام والعشق

إنَّ العشق والمعشوق الناشئ من جمال المعشوق هو الذي يحرك العاشق نحو معشوقه لتحقيق وصله، فإنْ وصل إنكشفت له الصفات وحصل شهود الذات.

وهذا كلُّه يظهر واضحاً في هذه الأرض المباركة المليئة بذكريات الولاية. إنَّ قصة العشق وعرفات ذكرى باقية، فكل من يدخل عرفات لا يشعر بالإستقرار، لأنَّ حبَّ الحبيب يتقاطر ويترشح وينبع في هذه الأرض، وكلُّ من أصاب قطرة من هذا الحب لم يستقر، وليس هذا إلا معنى الحب الحقيقي والوصل المطابقي، وعندها يقرّ الله بوجودك في المكان وتتحقق بكل درجات الوجود بعد أنْ أفنيت وجودك في وجوده تبارك وتعالى، عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: ﴿ إنَّ الله تطوّل على أهل عرفات يباهي بهم الملائكة يقول: يا ملائكتي أنظروا إلى عبادي شعثاً غبراً، أقبلوا يضربون إليّ من كل فجّ عميق، فأُشهدكم أنّي قد أجبتُ دعائهم وشفعتُ رغبتهم ووهبتُ مسيئهم لمحسنهم وأعطيتُ محسنهم جميع ما سألني، غير التبعات التي بينهم ﴾[3].

٣- عرصات القيامة

يقول الملا محسن الفيض الكاشاني قدس سره: ﴿ وأمّا الوقوف في عرفات فليتذكر بما يرى من إزدحام الخلق وارتفاع الأصوات واختلاف اللغات واتباع الفرق أئمتَهم في الترددّات على

---

١ مستدرك الوسائل ج ١٠ ص ١٦٩.

٢ علل الشرائع ج٢ ص٤٣٦.

٣ مسند أبي يعلى ج٧ ص١٤٧.

المشاعر، عرصات يوم القيامة واجتماع الأمم مع الأنبياء والأئمة عليهم السلام واقتفاء كلٍّ أمة نبيَّها، وطمعهم في شفاعتهم وتحيّرهم في ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول ﴾[1].

مشابهة الوقوف بعرفة مع الوقوف يوم القيامة من عدة جهات؛ منها: حشرُ الكلِّ مع اختلافهم، ومنها: إنفراد كلٍّ وعمله، ومنها: رجاؤه لرحمة ربِّه، ومنها: ينتظر منقذاً يأخذ بيده، وغيرها.

لذا ينبغي للناسك أنْ لا يدّخر وسعاً في التوسل ومدّ يد الرجاء واستشعار الخوف، عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَشِيَّةً مِنَ الْعَشِيَّاتِ ونَحْنُ بِمِنًى وهُوَ يَحُثُّنِي عَلَى الْحَجِّ ويُرَغِّبُنِي فِيهِ: ﴿ يَا سَعِيدُ: أَيُّمَا عَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ رِزْقاً مِنْ رِزْقِهِ فَأَخَذَ ذَلِكَ الرِّزْقَ فَأَنْفَقَهُ عَلَى نَفْسِهِ وعَلَى عِيَالِهِ، ثُمَّ أَخْرَجَهُمْ قَدْ ضَحَاهُمْ بِالشَّمْسِ حَتَّى يَقْدَمَ بِهِمْ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ إِلَى الْمَوْقِفِ، فَيَقِيلَ أَلَمْ تَرَ فُرَجاً تَكُونُ هُنَاكَ فِيهَا خَلَلٌ ولَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ، فَقُلْتُ: بَلَى جُعِلْتُ فِدَاكَ. فَقَالَ: يَجِيءُ بِهِمْ قَدْ ضَحَاهُمْ حَتَّى يَشْعَبَ بِهِمْ تِلْكَ الْفُرَجَ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى لا شَرِيكَ لَهُ: عَبْدِي؛ رَزَقْتُهُ مِنْ رِزْقِي، فَأَخَذَ ذَلِكَ الرِّزْقَ فَأَنْفَقَهُ، فَضَحَى بِهِ نَفْسَهُ وعِيَالَهُ، ثُمَّ جَاءَ بِهِمْ حَتَّى شَعَبَ بِهِمْ هَذِهِ الْفُرْجَةَ الْتِمَاسَ مَغْفِرَتِي، أَغْفِرُ لَهُ ذَنْبَهُ، وأَكْفِيهِ مَا أَهَمَّهُ، وأَرْزُقُهُ ﴾[2].

نعم يصل الإنسان في الرغبة بعفو الله ومغفرته إلى حدِّ القطع بذلك، وبالمقابل من لم يعتقد بذلك في ذلك الموقف فإنَّه من القانطين، فعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: ﴿ وَأَعْظَمُ النَّاسِ جُرْماً مِنْ أَهْلِ عَرَفَاتٍ الَّذِي يَنْصَرِفُ مِنْ عَرَفَاتٍ وهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ لَمْ يُغْفَرْ لَهُ؛ يَعْنِي الَّذِي يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ ﴾[3].

وفي الخبر إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ﴿ وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ بَشِيراً ونَذِيراً إِنَّ لِلَّهِ بَاباً فِي سَمَاءِ الدُّنْيَا يُقَالُ لَهُ بَابُ الرَّحْمَةِ وبَابُ التَّوْبَةِ وبَابُ الْحَاجَاتِ وبَابُ التَّفَضُّلِ وبَابُ الإحْسَانِ وبَابُ الْجُودِ وبَابُ الْكَرَمِ وبَابُ الْعَفْوِ، ولا يَجْتَمِعُ بِعَرَفَاتٍ أَحَدٌ إلا اسْتَأْهَلَ مِنَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ هَذِهِ الْخِصَالَ، وإِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ أَلْفِ مَلَكٍ، مَعَ كُلِّ مَلَكٍ مِائَةٌ وعِشْرُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، يَنْزِلُونَ مِنَ اللَّهِ

---

١ الحقائق ص٢٨٣.

٢ الكافي ج٤ ص٢٦٣.

٣ من لا يحضره الفقيه ج٢ ص٢١١.

بِالرَّحْمَةِ عَلَى أَهْلِ عَرَفَاتٍ، وِلِلَّهِ عَلَى أَهْلِ عَرَفَاتٍ رَحْمَةٌ يُنْزِلُهَا عَلَى أَهْلِ عَرَفَاتٍ، فَإِذَا انْصَرَفُوا أَشْهَدَ اللَّهُ مَلائِكَتَهُ بِعِتْقِ أَهْلِ عَرَفَاتٍ مِنَ النَّارِ، وَأَوْجَبَ لَهُمُ الْجَنَّةَ، وَنَادَى مُنَادٍ: انْصَرِفُوا مَغْفُورِينَ، فَقَدْ أَرْضَيْتُمُونِي وَرَضِيتُ عَلَيْكُمْ ›[1].

وفوائد الموقف بعرفة عامة للبَرّ والفاجر، فعن الإمام الباقر عليه السلام: ‹ مَا يَقِفُ أَحَدٌ عَلَى تِلْكَ الْجِبَالِ؛ بَرٌّ ولا فَاجِرٌ إلا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ، فَأَمَّا الْبَرُّ فَيُسْتَجَابُ لَهُ فِي آخِرَتِهِ ودُنْيَاهُ، وأَمَّا الْفَاجِرُ فَيُسْتَجَابُ لَهُ فِي دُنْيَاهُ ›[2]. وعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: ‹ ومَنْ وَافَى بِعَرَفَةَ فَسَلِمَ مِنْ ثَلاثٍ؛ أُذُنُهُ لا تَسْمَعُ إلا إِلَى حَقٍّ، وعَيْنَاهُ أَنْ تَنْظُرَ إلا إِلَى حَلالٍ، ولِسَانُهُ أَنْ يَنْطِقَ إلا بِحَقٍّ، غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ وإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ ›[3].

٤- البراءة من المشركين

البراءة تعني: إبتعاد الانسان عن كل سيءٍ يمكن أنْ يصاحبه. وفي الحج الإبراهيمي تكون البراءة من المشركين عن طريق التبرّي عن أفكار الشرك الملوثة في مجتمع عرفة، وهو يوم الحج الأكبر لتطبيق قوله تعالى: ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ ﴾[4]، وقد ذكر تعالى أنَّ البراءة لا تكون لله فقط بل لرسوله لأنَّه مؤدى حق الرسول صلى الله عليه وآله في رسالته التي أدّاها لنا، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[5]، فعبادته تبارك وتعالى هي عين اجتناب الجبت والطاغوت فلا تحقق للعبادة بدون اجتناب الطاغوت وأول من سنَّ البراءة هو من سنّ تفاصيل الحج وهو إبراهيم عليه السلام: ﴿ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾[6]، والذي نتبرى منه نحن بالإضافة إلى طواغيت الخارج؛ جنودَ الجهل وطواغيت الباطن، وقد

---

١ وسائل الشيعة (آل البيت عليهم السلام) ج١٣ ص٥٥٠.

٢ الكافي ج٤ ص٢٦٢.

٣ مستدرك الوسائل ج١٠ ص٤٤.

٤ سورة التوبة: الآية ٣ .

٥ سورة النحل: الآية ٣٦ .

٦ سورة الأنعام: الآية ٧٨.

دعا إمامنا الراحل الخميني العظيم رحمه الله إلى إحياء هذه السنّة، يقول قدس سره: ﴿فنداء البراءة من المشركين في مراسم الحج والذي أشارت إليه هذه الآية المباركة هو نداء سياسي عبادي أمر به الله ورسوله المصطفى صلى الله عليه وآله﴾[1].

٥- عصر عرفات:

موقف عرفة يكون من زوال اليوم التاسع إلى غروب الشمس منه ويتحقق الوقوف بأيٍّ حصة من هذا الوقت حسب ما هو مثبت في الفقه، ولكن هناك حصة من هذا الوقت وهي العصر لها أهمية في بيان السر في الوقوف بعرفة فعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: ﴿إنَّ الْعَصْرَ هِيَ السَّاعَةُ الَّتِي عَصَى آدَمُ فِيهَا رَبَّهُ، فَفَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ عَلَى أُمَّتِيَ الْوُقُوفَ والتَّضَرُّعَ والدُّعَاءَ فِي أَحَبِّ الْمَوَاضِعِ إِلَيْهِ، وتَكَفَّلَ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ. والسَّاعَةُ الَّتِي يَنْصَرِفُ بِهَا النَّاسُ هِيَ السَّاعَةُ الَّتِي تَلَقَّى فِيهَا آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ؛ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيم﴾[2].

المشعر (مزدلفة)

وهذه المنطقة معروفة بالمزدلفة لأنَّ جبرائيل عليه السلام قال فيها لإبراهيم عليه السلام: ﴿إزْدَلِفْ إِلَى الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾[3]. فَلِذلِكَ سُمِّيَتِ الْمُزْدَلِفَةَ.

وكذا تسمى جَمْع لأنَّه يُجمع فيها المغرب والعشاء حتى عند القوم، عن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿سُمِّيَتِ الْمُزْدَلِفَةُ جَمْعاً؛ لأنَّ آدَمَ جَمَعَ فِيهَا بَيْنَ الصَّلاتَيْنِ؛ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاء﴾[4].

وكلمة المشعر من الإشعار، لأنَّ فيها إشعار بالتقوى والخوف من الله تعالى.

وفي هذه المنطقة يقف الناسك بين الطلوعين ويكون ليلتها في هذه الأرض مشغولاً بالعبادة والدعاء والتفكر.

هذه القطعة من الأرض على قدر ما هي مظلمة بحسب الظاهر، ولكن أمواج نور رحمة الله

---

١ صحيفة الإمام ج١٨ ص٨٣، وكذا أنظر نفس المصدر ج٢ ص٨٢ و ص٢٥٩ و ج٢١ ص٢٦.

٢ وسائل الشيعة ج١٣ ص٥٥٠.

٣ المحاسن ج٢ ص٣٣٦.

٤ علل الشرائع ج٢ ص٤٣٧.

تعالى تحيل ذلك الظلام ضياءً في صفحة النفس، فتشرق أنوار تلك الرحمة في باطن الناسك، ليتحرك بتأثير ذلك النور ويُحيي ليلته بالوصل بعد أنْ يترك كل ما يحول بينه وبين محبوبه.

ومن هذه الأرض يتزود الناسك بالتقوى من جهتين: الأول، أنْ يرفع المانع من التقوى وهو الجهل والمعصية، والثاني، توفير مقتضيها وهو القلب السليم العامر بالعلم والطاعة، وكلاهما يتحقق في تلك الليلة; ليلة النحر التي يبيت فيها عند مليك مقتدر غريق بحر النور المتلاطم يجمع فيها سلاح محاربة الشيطان; تلك الحصيات المرقّطة ذات الأثر الكبير. وفي حديث الشبلي عن الإمام السجاد عليه السلام: ﴿فَعِنْدَمَا مَشَيْتَ بِمُزْدَلِفَةَ ولَقَطْتَ مِنْهَا الْحَصَى؛ نَوَيْتَ أَنَّكَ رَفَعْتَ عَنْكَ كُلَّ مَعْصِيَةٍ وجَهْلٍ وثَبَّتَّ كُلَّ عِلْمٍ وعَمَلٍ؟ قال: لا. قال: فَعِنْدَمَا مَرَرْتَ بِالْمَشْعَرِ الْحَرَامِ؛ نَوَيْتَ أَنَّكَ أَشْعَرْتَ قَلْبَكَ إِشْعَارَ أَهْلِ التَّقْوَى والْخَوْفَ لِلَّهِ عَزَّ وجَلَّ؟ قال: لا﴾[1]. ولا بدَّ للناسك أنْ يلتفت في ليلة النحر وهو في المشعر الحرام إلى أنْ يبدّل وساوس وتصرفات الشيطان ويفني الخواطر التي قد تعتريه، وإنْ استطاع أنْ يخرج من بدنه ويموت موتاً إختيارياً لكان أفضل؛ لأنَّ الناسك قد تمرّ عليه بعض الخواطر أو بعض الأمور الخارجية التي قد تجعله يُمسُّ من قبل جنود الشيطان في هذا المكان، كأنْ ينام تلك الليلة على اعتبار أنَّه قد وصل للتوّ من تعب الطريق وزحامه من عرفة إلى المشعر، أو لأنَّ الواجب في المزدلفة هو الوقوف بين الطلوعين فقط فيتوهم أنَّ الذي عليه هو أنْ يؤدّي واجبه وحسب؛ غافلاً عن أنَّ مقدمة تهيئة هذا الواجب هو إحياء تلك الليلة التي قال عنها رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿من أحيا الليالي الأربع وجبت له الجنة: ليلة التروية وليلة عرفة وليلة النحر وليلة الفطر﴾[2].

إنَّه يتوجّب على الناسك أنْ يُفرغ قلبه ويوقف نفسه للخدمة والطاعة تهيئةَ لدخول المسجد الحرام وإتمام الحج، وقد ورد أنَّه سُئل أمير المؤمنين عليه السلام فيما سُئِل عن الْمَشْعَرُ الْحَرَامُ لِمَ صَارَ فِي الْحَرَمِ؟ قَالَ: ﴿لأنَّهُ لَمَّا أَذِنَ لَهُمْ بِالدُّخُولِ وَقَفَهُمْ بِالْحِجَابِ الثَّانِي، فَلَمَّا طَالَ تَضَرُّعُهُمْ

---

١ مستدرك الوسائل ج ١٠ ص١٧٠.

٢ الفردوس ج٣ ص٦٢٠.

بِهَا أَذِنَ لَهُمْ لِتَقْرِيبِ قُرْبَانِهِمْ، فَلَمَّا قَضَوْا تَفَثَهُمْ تَطَهَّرُوا بِهَا مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي كَانَتْ حِجَاباً بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ؛ أَذِنَ لَهُمْ بِالزِّيَارَةِ عَلَى الطَّهَارَةِ﴾[1].

يقول الملا محسن الفيض الكاشاني قدس سره: ﴿وأمّا الوقوف بالمشعر؛ فليستحضر أنّه قد أقبل عليه مولاه بعد أنْ كان مدبراً عنه طارداً له عن بابه، فأذن له في دخول حرمه، فإنّ المشعر من جملة الحرم، وعرفات خارجة عنه، فقد أشرف على باب الرحمة وهبّت عليه نسمات الرأفة وكُسِيَ خِلَعَ القبول بالإذن في دخول حرم الملك﴾[2].

يقول الإمام الخميني قدس سره: ﴿سيروا إلى المشعر الحرام وإلى عرفات وأنتم في حالة شعور وعرفان، وكونوا في أيٍّ موقف مطمئني القلب لوعد الحق بإقامة حكم المستضعفين. وبكونٍ وهدوء فكروا بآيات الحق﴾[3].

منى

البقعة البعدية هي منى التي يتحقق فيها الواجبات الثلاثة: الرمي والنحر والحلق أو التقصير، بالإضافة إلى المبيت. وقبل الكلام عن هذه الواجبات نذكر أمرين في بيان معنويات هذه الأرض:

١- ذكر الله عز وجل

أكد القرآن المجيد على مسألة الذكر في المشاعر عدة مرات، قال تعالى: ﴿ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[5]، وقال عزّ من قائل: ﴿فَإِذَا

---

١ الكافي ج٤ ص٢٢٤.

٢ الحقائق ص٢٨٣.

٣ أبعاد الحج في فكر الإمام الخميني قدس سره.

٤ سورة البقرة: الآية ١٩٨.

٥ سورة البقرة: الآية ١٩٩.

فَقَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾[١]، وقد سُئل الإمام الصادق (عليه السلام) عن هذه الآية فقال (عليه السلام): ﴿كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَفْتَخِرُونَ بِمِنًى إِذَا كَانَ أَيَّامُ التَّشْرِيقِ؛ فَيَقُولُونَ كَانَ أَبُونَا كَذَا وكَانَ أَبُونَا كَذَا فَيَذْكُرُونَ فَضْلَهُمْ ﴾[٢].

والظاهر أنَّ التركيز على مسألة الذكر[٣] هنا هو أنْ يعيش الناسك الحضور باستمرار مع كل هذه التنقلات بين المشاعر والتنوّع في الأعمال والأذكار وتغيير النية عند كل عمل، لأنَّ العابد العامل عادةً يكون في محلّ واحد وعمل واحد لذا تكون قضية الحضور عنده أيسر، أمّا مع هذه التنقلات والإحتكاك بالآخرين والزحام والتدافع قد ينشغل بنفسه وتوفير ما يلائمه ويغفل عن المقصد الحقيقي، والله العالم.

٢- رضا الله عز وجل

من الأمور المسلّمة في هذه البقعة هي تحصيل رضا الحق تبارك وتعالى، وإحدى أمارات هذا الرضا هو تحقيق الأماني التي أرادها الناسك من ربّه في وصله وقربه. وقد دلت روايات كثيرة على ذلك، منها ما عن الإمام الصادق (عليه السلام): ﴿إِذَا أَخَذَ النَّاسُ مَوَاطِنَهُمْ بِمِنًى نَادَى مُنَادٍ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ أَرْضَى فَقَدْ رَضِيتُ ﴾[٤]. بل قد يُتعدى إلى أكثر من ذلك وهو أنْ يحصل الناسك على براءة من كل ما تقدم من ذنوبه، بالإضافة إلى الرضا ليبدأ حياة جديدة مصبوغة بصبغة رضا الله، ومن أحسن من الله صبغة، فعن الإمام الصادق (عليه السلام): ﴿إِذَا أَفَاضَ الرَّجُلُ مِنْ مِنًى وَضَعَ مَلَكٌ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ: إِسْتَأْنِفْ ﴾[٥].

وفي سبب تسمية منى بهذا الإسم ما عن ثامن الحجج علي ابن موسى الرضا (عليه السلام): ﴿وَالْعِلَّةُ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا سُمِّيَتْ مِنى مِنى؛ إِنَّ جَبْرَئِيلَ قَالَ هُنَاكَ لِإِبْرَاهِيمَ (عليه السلام): تَمَنَّ عَلَى رَبِّكَ مَا

---

١ سورة البقرة: الآية ٢٠٠.

٢ السرائر ج٣ ص٥٦٢.

٣ ذكرنا ما يتعلق بالذكر وأهميته في الرشحات والتأديبات فراجع.

٤ الكافي ج٤ ص٢٦٢.

٥ المحاسن ج١ ص٦٦.

شِئْتَ، فَتَمَنَّى إِبْرَاهِيمُ فِي نَفْسِهِ أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ مَكَانَ ابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ كَبْشاً يَأْمُرُهُ بِذَبْحِهِ فِدَاءً لَهُ، فَأُعْطِيَ مُنَاهُ ﴾[١].

وفي حديث الشبلي عن الإمام زين العابدين عليه السلام: ﴿ فَنَوَيْتَ عِنْدَمَا وَصَلْتَ مِنًى ورَمَيْتَ الْجِمَارَ أَنَّكَ بَلَغْتَ إِلَى مَطْلَبِكِ وقَدْ قَضَى رَبُّكَ لَكَ كُلَّ حَاجَتِكَ؟ قال: لا ﴾[٢].

أعمال منى

الأول: الرمي

وهذا الواجب يكون للعقبة الكبرى في اليوم العاشر ولجميع الجمرات في اليومين الحادي عشر والثاني عشر؛ كل رمية بسبع حصيات.

وللرمي معانٍ نذكر منها:

١- إبعاد الشيطان وطرده

قد يستغرب البعض من رمي الجمرات ويقول إنَّما هو حائط[٣]، ولكنّ هذا الإستغراب يرتفع بمجرد أنْ يُعلم أنَّ هذا العمل مبارزة وحرب مع الشيطان الذي طالما دعت الروايات لمحاربته، ولكن يكون الجواب عن هذه الدعوة: بأنّا لا نستطيع أنْ نحاربه لأنَّه يعيش في داخلنا ولو كان عدوّاً ظاهراً لقاتلناه بشتى الأسلحة والطرق وقتلناه.

وفي مقام الردّ على ذلك نقول: نحن نمتحن إيمانك بقبول الحرب على الشيطان، فانظر هل تعتقد أولاً بأنَّك تقطع هذه المسافة ومع هذا التعب لترمي حائطاً يرمز إلى الشيطان؟ فإنْ قبلت؛ كنتَ قد بدأت بالخطوة الأولى لمحاربة الشيطان، فإنْ كان كذلك، نطلب منك أنْ تنتقل إلى ساحة نفسك وتعرف عدوَّها وتعلن عدائك له، ولكن إنتبه! قد تكون نفسك هي الشيطان وحينئذٍ لا بدَّ أنْ تحاربها بعقلك، نعم لا بدَّ أنْ تلتفت إلى جنود عقلك وجنود الجهل،

---

١ عيون أخبار الرضا عليه السلام ج٢ ص٩١.

٢ مستدرك الوسائل ج ١٠ ص١٧١.

٣ كما هو الآن، وإلا كان عبارة عن شاخص.

وتعمل على أنْ ينتصر جنود العقل هنا[1]، فالرميُ رميٌ للصفات الرذيلة التي سببُها هوى النفس وإبليس، فالرمي يكون لقائد المعسكر المقابل للرحمن تبارك وتعالى، حتى وإنْ كانت نفسُ الناسك، فكيف يحلُّ ضيفاً على الرحمن من كان في نفسه جنوداً من المعسكر المقابل، أو يحملُ صفات العدو؟!.

وفي مصباح الشريعة عن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿وَارْمِ الشَّهَوَاتِ والخَسَاسَةَ والدَّنَاءَةَ والْأَفْعَالَ الذَّمِيمَةَ عِنْدَ رَمْيِ الْجَمَرَاتِ﴾[2].

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام: ﴿فَعِنْدَمَا رَمَيْتَ الْجِمَارَ نَوَيْتَ أَنَّكَ رَمَيْتَ عَدُوَّكَ إِبْلِيسَ وغَضِبْتَهُ بِتَمَامِ حَجِّكَ النَّفِيسِ؟ قال: لا﴾[3].

وفي سبب رمي الجمار ما عن أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿أَنَ الْجِمَارَ إِنَّمَا رُمِيَتْ لأنَّ جَبْرَئِيلَ عليه السلام حِينَ أَرَى إِبْرَاهِيمَ صلى الله عليه وآله الْمَشَاعِرَ بَرَزَ لَهُ إِبْلِيسُ، فَأَمَرَهُ جَبْرَئِيلُ أَنْ يَرْمِيَهُ﴾[4].

يقول الإمام الخميني قدس سره: ﴿إنّ هذا السفر الإلهي الذي تسيرون فيه وترجمون الشيطان، إذا كنتم -لا سمح الله- من جنود الشيطان فسترجمون أنفسكم أيضاً. يجب أنْ تكونوا في هذا السفر رحمانيين، وأنْ تصبحوا رحمانيين، حتى يكون رجمكم كرجم أتباع الرحمن وجنود الرحمن للشيطان﴾[5].

ويقول الملا محسن الفيض الكاشاني قدس سره: ﴿وأمّا رمي الجمار، فليقصد به الإنقياد للأمر إظهاراً للرقّ والعبودية وانتهاضاً لمجرد الإمتثال من غير حظ للعقل والنفس، ثم ليقصد به التشبه بإبراهيم عليه السلام ....﴾[6].

---

١ ذكرنا هذه المباحث في الرشحات العلوية فراجع.

٢ مصباح الشريعة ص٤٩.

٣ مستدرك الوسائل ج ١٠ ص١٧١.

٤ قرب الإسناد (ط. الحديثة) ص١٤٧.

٥ أبعاد الحج في فكر الإمام الخميني قدس سره.

٦ الحقائق ص٢٨٣.

٢- ذخيرة النور

ولتأكيد أهمية الرمي ودفع وهم أنَّه لا فائدة فيه، إنَّ الناسك لا بدَّ أنْ يعلم أنَّ رمي الجمار ذخيرة نورية له في الدارين.

أمّا في الدنيا فهي تزيد من نوره ودرجته الوجودية بحيث يخرج من ذنوبه أولاً، ويبدأ مسيرته نحو الحق تعالى، قال رسول الله ﷺ: ﴿ الْحَاجُ إِذَا رَمَى الْجِمَارَ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ ﴾[١].

وأمّا في العقبى؛ فهي علامة على انتصاره على الشيطان الرجيم المُبعد عن الجنة، فهو يدخل الجنة من دون أيّ شوب صفة رذيلة أو تصرّف شيطان سابق، قال رسول الله ﷺ: ﴿ رَمْيُ الْجِمَارِ ذُخْرٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[٢]، وعنه ﷺ: ﴿ فإذا رميت الجمار كان لك نوراً يوم القيامة ﴾[٣].

الشيطانُ هُوَ البَعِيدُ المُبْعَدِ المُبْعِد، والناسك يرمي الجمار لكي لا يكون كذلك فهو قريب من الله عز وجل خصوصاً بعدما أذِنَ له دخول حرمه.

الثاني: الذبح

وهو أحد واجبات منى بحيث يتوجب أنْ يكون الذبح فيها، وقد عبرّ القرآن عنه بالهدي تارة والبُدن تارة بإسم أحد حيوانات الأضحية وهو البعير، وفي ذبح الهدي معنيان: التقوى والإخلاص، وذبح النفس.

قال تعالى: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾[٤]. وهذه الآية فيها دفع دخل مقدّر من أنَّ البعض يتوهم أنَّ أمْرَهُ تعالى بالذبحِ لنفعٍ مادّي، وهذا توهّمٌ واضح أجاب عنه القرآن الكريم: بأنَّه أمرٌ نريد منه معرفة مقدار الإلتزام والتقوى. يقول الملا محسن الفيض الكاشاني تَتَرَبُّهُ: ﴿ وأمّا الذبح فليُعلم أنَّه تقرب إلى الله تعالى بحكم الإمتثال وليكمل الهدي

---

١ من لا يحضره الفقيه ج٢ ص٢١٤.

٢ المصدر السابق.

٣ الترغيب والترهيب ج٢ ص٢٠٧.

٤ سورة الحج: الآية٣٧.

وأجزائه، ويرجُ أنْ يعتق بكل جزء منها جزءٌ منه من النار كما ورد الوعد به ﴾[١].

أقول: الظاهر من قوله قدس سره: ﴿كما ورد الوعد به﴾ إشارة إلى قول الإمام الصادق عليه السلام: ﴿إنَّهُ يُغْفَرُ لِصَاحِبِهَا عِنْدَ أَوَّلِ قَطْرَةٍ تَقْطُرُ مِنْ دَمِهَا إِلَى الأرْضِ، ولِيَعْلَمَ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ يَتَّقِيهِ بِالْغَيْبِ﴾[٢].

وكذا ما ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام: ﴿إِذَا ذَبَحَ الْحَاجُّ كَانَ فَدَاهُ مِنَ النَّارِ﴾[٣].

ونبي الله إبراهيم عليه السلام أبرز مصداق لتحقيق التقوى في هذا المجال، فقد وصل به الحد إلى أنْ يضحي بولده إسماعيل في ذلك، ففي حديث الشبلي عن الإمام زين العابدين عليه السلام: ﴿فَعِنْدَمَا ذَبَحْتَ هَدْيَكَ؛ نَوَيْتَ أَنَّكَ ذَبَحْتَ حَنْجَرَةَ الطَّمَعِ بِمَا تَمَسَّكْتَ بِهِ مِنْ حَقِيقَةِ الْوَرَعِ، وأَنَّكَ اتَّبَعْتَ سُنَّةَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام بِذَبْحِ وَلَدِهِ وثَمَرَةِ فُؤَادِهِ ورَيْحَانِ قَلْبِهِ، وحَاجَّهُ سُنَّتُهُ لِمَنْ بَعْدَهُ وقَرَّبَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لِمَنْ خَلْفَهُ؟ قال: لا﴾[٤].

يقول جامي:

کبش منی را بمنا ریز خون ... نفس دنی را بفنا کن زبون[٥]

يعني:

أرِقْ دم كبش الأنا في منى ... والنفس الدنيّة أذلّها بالفناء

يقول ابن عربي: ﴿ثم نحر (الحاج) أو ذبح قربانه، ينوي بذلك تسريح روح هذا الحيوان من سجن هذا الهيكل الطبيعي المظلم﴾[٦].

يقول الهى قمشه اى:

چون در منا رفتی ز خودبینی حذر کن

بتراش سر یعنی غرور از سر به در کن

---

١ الحقائق ص٢٨٤.

٢ علل الشرائع ج٢ ص٤٣٨.

٣ المحاسن ج١ ص٦٧.

٤ مستدرك الوسائل ج ١٠ ص١٧١.

٥ هفت اورنگ.

٦ الفتوحات المكية ج١٠ ص٤٤٠.

احـــرام بشـــكند جامـــه تقـــوا بـــه تـــن كـــن
نفـــس بهيمـــى ذبـــح كـــن هنگـــام قربـــان[١]

يعني:
ما دمت قد ذهبت إلى منى فاحذر من ملاحظة النفس (الأنا)، إحلق رأسك وهذا يعني: مجانبة الغرور (الإعتداد بالنفس).

إخلع إحرامك والبس لباس التقوى، واذبح النفس البهيمية عند ذبح القربان.

ومنه يُعرف طريقة معرفة التقوى الحقيقة وعدم الإستغراب من أيِّ فعل عبادي، إذ نفس التعبد بما يصدر هو حقيقة العبادة وركيزة التقوى، والتقوى هي الهدف الحقيقي للذبح أو أيّ فعل آخر مأمور به من قِبَل الآمر الحقيقي تبارك وتعالى، يقول أمير المؤمنين عليه السلام في صفة التقوى: ﴿ فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ دَوَاءُ دَاءِ قُلُوبِكُمْ، وبَصَرُ عَمَى أَفْئِدَتِكُمْ، وشِفَاءُ مَرَضِ أَجْسَادِكُمْ، وصَلاحُ فَسَادِ صُدُورِكُمْ، وطُهُورُ دَنَسِ أَنْفُسِكُمْ ﴾[٢].

الثالث: الحلق

الحلق وظيفة الضرورة[٣] والتقصير لغيره، ولكن إستحباب الحلق للجميع ثابت في الروايات، فقد ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه قال: ﴿ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ مَرَّتَيْنِ. قِيلَ: ولِلْمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ولِلْمُقَصِّرِينَ ﴾[٤] بتقريب: إنّه أكد ذلك بالتكرار للمحلقين دون المقصّرين.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿ إنَّ العَبْدَ المُؤمِن ..... فَإِذَا حَلَقَ شَعْرَهُ لَمْ يَسْقُطْ شَعْرَةٌ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ لَهُ بِهَا نُوراً يَوْمَ الْقِيَامَة ﴾[٥]. إذاً البُعد المعنوي للحلق هو إلقاء ما يحجب النور؛ فسقوطه على الأرض يشع النور بعدد ما يسقط من الشعر، ومن الطبيعي أنَّ هذا النور مصدر القلب المنوَّر

---

١ مناسك حج عاشقان.
٢ نهج البلاغة الخطبة ١٩٨.
٣ على الخلاف الفقهي.
٤ تهذيب الأحكام ج٥ ص٢٤٣.
٥ تفسير العياشي ج١ ص١٠٠.

الذي أضاء ويضيء بمجرد ترك التعلّقات.

المبيت في منى

من الأعمال الأخرى في منى هي المبيت ليلة الحادي عشر والثاني عشر من ذي الحجة، والمبيت هنا لا يعني شرطية النوم، وإنّما الكون في تلك الأرض.

ويمكن للناسك أن يقوم ببعض الأعمال في منى أوقات المبيت نذكر منها:

١- الكون في مسجد الخيف والصلاة فيه فقد ورد أنَّه صلى فيه ألف نبي[1]، وقد ورد أيضاً أنَّ صلاة مائة ركعة في هذا المسجد تعدل عبادة سبعين سنة، والروايات في ذلك كثيرة.

٢- عقد الحلقات والجلسات المعرفية بين المجاميع الموزعة في الخيام أو في الشارع على الأرصفة أو في المسجد.

٣- التعريف بمذهب أهل البيت عليهم السلام عن طريق إبراز بعض ما اختص به الشيعة أعزهم الله تعالى، وإثبات أنّه من الدين.

٤- ذكر مصائب أهل البيت عليهم السلام وإبراز الحياة الكاملة لهم عليهم السلام لمعرفة مظلوميتهم ومَنْ ظَلَمهم.

٥- المواظبة على استغلال الوقت إستغلالاً أمثلاً للإستفادة من الكون في هذا المكان العظيم، وتحرّزاً من الدخول في كلام الدنيا أو وساوس الشيطان، وغيرها.

خاتمة في الوداع

عن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿ تَأْتِي الْمُسْتَجَارَ بَيْنَ الْحَجَرِ والْبَابِ فَتُوَدِّعُهُ مِنْ ثَمَّ، ثُمَّ تَخْرُجُ فَتَشْرَبُ مِنْ زَمْزَمَ، ثُمَ تَمْضِي ﴾[2].

وهذا أصعب الحالات التي تمرّ على الحاج خصوصاً بعدما عاش هذه المعاني التي ذكرناه في تلك الأماكن المشرفة وأيام الله الكريمة.

---

١ الكافي ج٤ ص٢١٤.

٢ المصدر السابق ص٥٣٢.

فمن جرّب فراق المحبوب الإلهي يعرف كيف يودّع، فيلصق بدنه بجدار الكعبة ويقلب خديه عليها ويتضرع، ويتمتم بالأذكار وكلمات الوداع تارةً ويصرخ تارة: ﴿الْمِسْكِينُ عَلى بَابِكَ، فَتَصَدَّقْ عَلَيْهِ بِالْجَنَّةِ﴾[1].

والمهم في الوداع واختتام الحج هو:

أنْ يبقى الحاج على قداسته ونزاهته ولا يعاود الذنوب، فإنَّ علامة قبول الحج[2] هي عدم العود إلى الذنب، عن النبي الأكرم ﷺ: ﴿آيَةُ قَبُولِ الْحَجِ تَرْكُ مَا كَانَ عَلَيْهِ الْعَبْدُ مُقِيماً مِنَ الذُّنُوبِ﴾[3].

وعنه ﷺ: ﴿مِنْ عَلامَةِ قَبُولِ الْحَجِّ؛ إِذَا رَجَعَ الرَّجُلُ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعَاصِي، هَذَا عَلامَةُ قَبُولِ الْحَجِّ، وإِنْ رَجَعَ مِنَ الْحَجِّ ثُمَّ انْهَمَكَ فِيمَا كَانَ مِنْ زِنَاءٍ أَوْ خِيَانَةٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ؛ فَقَدْ رُدَّ عَلَيْهِ حَجُّهُ﴾[4].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿الْحَاجُّ لا يَزَالُ عَلَيْهِ نُورُ الْحَجِّ مَا لَمْ يُلِمَ بِذَنْبٍ﴾[5].

هذا تمام الكلام بما وسعه المقام في حرم أمير المؤمنين عليه السلام في السابع من صفر الخير ١٤٣٥هـ والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

الراجي فتح الله

أبو الحسن الموسوي الكاظمي

---

١ المصدر السابق ص٥٣٣.

٢ بعد الفراغ من صحته.

٣ الجعفريات (الأشعثيات) ص٦٦.

٤ المصدر السابق.

٥ الكافي ج٤ ص٢٥٥.

المصادر والمراجع

١- القرآن المجيد؛ كلام الله عز وجلّ.

٢- نهج البلاغة؛ كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

٣- الصحيفة السجادية؛ كلام الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام.

٤- أبعاد الحج في فكر الإمام الخميني؛ جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، بيروت، لبنان.

٥- أخبار مكة؛ محمد ابن عبد الله الأزرقي، دار الأندلس، بيروت ١٤١١.

٦- أدب فناء المقربين.

٧- اسرار عرفانى حج؛ محمد تقي فعالي، نشر مشعر.

٨- الأمالي (للصدوق)؛ محمد ابن علي إبن بابويه، نشر كتابچي، طهران ١٤١٨.

٩- الأمالي (للطوسي)؛ محمد بن حسن الطوسي، نشر دار الثقافة، قم المقدسة ١٤١٤.

١٠- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار للشيخ محمد باقر المجلسي؛ نشر دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٠٣.

١١- التأديبات العلوية؛ أبو الحسن الموسوي الكاظمي، نشر دار الحوراء، بيروت/ لبنان ١٤٣٣.

١٢- تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله؛ الحسن ابن علي إبن شعبة الحراني، نشر جماعة المدرسين، قم المقدسة ١٤٠٤.

١٣- الترغيب والترهيب؛ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري/ دار الفكر، بيروت ١٤٠٨.

١٤- تفسير الصافي.

١٥- تفسير العياشي؛ محمد بن مسعود العياشي، نشر المكتبة العلمية الإسلامية، طهران.

١٦- التفسير الكبير.

١٧- تفسير بيان السعادة؛ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

١٨- تهذيب الأحكام (تحقيق الخرسان)؛ محمد بن الحسن الطوسي، نشر دار الكتب الإسلامية، طهران ١٤٠٧.

١٩- الثاقب في المناقب؛ محمد بن علي إبن حمزة الطوسي، نشر أنصاريان، قم المقدسة ١٤١٩.

٢٠-ثواب الأعمال وعقاب الأعمال؛ محمد بن علي إبن بابويه، نشر دار الشريف الرضي، قم المقدسة ١٤٠٦.

٢١-جامع الأحاديث؛ أبو جعفر بن أحمد بن علي القمي المعروف بابن الرازي/ مؤسسة الطبع والنشر، مشهد المقدسة ١٤١٣.

٢٢-الجعفريات (الأشعثيات)؛ محمد بن محمد ابن الأشعث/ نشر مكتبة النينوى الحديثة، طهران

٢٣-حج الأنبياء والأئمة؛ ممثلية الولي الفقيه لشؤون الحج والعمرة، نشر مشعر، قم ١٤١٦.

٢٤-الحج مؤتمر عبادي سياسي؛ مركز الحج للدراسات والنشر.

٢٥-الحقائق.

٢٦-الخرائج والجرائح؛ سعيد بن هبة الله قطب الدين الراوندي؛ نشر مؤسسة الإمام المهدي ﷺ، قم المقدسة ١٤٠٩.

٢٧-دختر پيامبر.

٢٨-الدر المنثور؛ عبد الرحمن السيوطي/ دار الفكر، بيروت١٤١٤.

٢٩-الدعوات (للراوندي)/ سلوة الحزين: سعيد بن هبة الله قطب الدين الراوندي؛ نشر مدرسة الإمام المهدي ﷺ، قم المقدسة ١٤٠٧.

٣٠-دلائل الإمامة (الطبعة الحديثة)؛ محمد بن جرير بن رستم الطبري الآملي الصغير، نشر البعثة، قم المقدسة ١٤١٣.

٣١-ديوان الشيخ البهائي.

٣٢-ديوان حافظ/ غزل.

٣٣-ديوان سعدي/ گلستان.

٣٤-الرشحات العلوية؛ أبو الحسن الموسوي الكاظمي، نشر دار الحوراء، بيروت/ لبنان ١٤٣٣.

٣٥-روضة الواعظين وبصيرة المتعظين (ط. القديمة)؛ محمد بن أحمد فتال النيشابوري، نشر منشورات الرضي، قم المقدسة ١٤١٧.

٣٦-السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي؛ محمد بن أحمد إبن إدريس، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم ، قم المقدسة ١٤١٠.

٣٧-سنن إبن ماجة.

٣٨-سنن الترمذي؛ محمد بن عيسى، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٩-السنن الكبرى: البيهقي، نشر دار الفكر ، بيروت ١٤١٧.

٤٠-السنن الكبرى: النسائي؛ طبعة دار المعرفة، بيروت ١٤١٤.

٤١-شرائع الإسلام: المحقق الحلي، نشر استقلال، طهران ١٤٠٩.

٤٢-شرح أصول الكافي (صدرا)؛ صدر المتألهين الشيرازي، نشر مؤسسة الأبحاث الثقافية، طهران ١٤٢٥.

٤٣-شعب الإيمان.

٤٤-صحيح مسلم: مسلم النيسابوري، نشر دار الفكر، بيروت/ لبنان.

٤٥-علل الشرائع؛ محمد ابن علي إبن بابويه، نشر مكتبة داوري، قم المقدسة ١٤٢٧.

٤٦-عوالي اللآلي العزيزية في الأحاديث الدينية؛ محمد بن زين الدين إبن أبي جمهور، نشر دار سيد الشهداء للنشر، قم المقدسة ١٤٠٥.

٤٧-عيون اخبار الرضا ﷺ: محمد ابن علي إبن بابويه، نشر جهان، طهران ١٤٢٠.

٤٨-عيون الحكم والمواعظ (الليثي)؛ علي بن محمد الليثي الواسطي، نشر دار الحديث، قم المقدسة ١٤١٨.

٤٩-الفتوحات المكية للشيخ محيي الدين بن عربي. دار صادر بيروت/ لبنان.

٥٠-الفردوس بمأثور الخطاب: شيرويه بن شهردار الهمداني/ نشر دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٦.

٥١-الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا ﷺ: منسوب إلى الإمام الثامن علي ابن موسى الرضا ﷺ، نشر مؤسسة آل البيت ﷺ، مشهد المقدس ١٤٠٦.

٥٢-قرب الإسناد (ط. الحديثة)؛ عبد الله بن جعفر القمي، قم ١٤١٣.

٥٣-الكافي: للشيخ محمد بن يعقوب الكليني، نشر دار الكتب الإسلامية، طهران ١٤٠٧.

٥٤-كامل الزيارات؛ جعفر بن محمد إبن قولويه، نشر دار المرتضوية، النجف الأشرف ١٣٩٧.

٥٥-كمال الدين وتمام النعمة؛ محمد ابن علي إبن بابويه، نشر الإسلامية، طهران ١٣٩٥.

٥٦-كنز العمال: المتقي الهندي، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت/ لبنان ١٤٠٩.

٥٧- المبسوط؛ المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية- طهران ١٣٨٧.

٥٨- مثنوي معنوي؛ لمولانا جلال الدين الرومي، طبعة نيكلسون.

٥٩- المجازات النبوية؛ الشريف السيد محمد بن الحسين الرضي/ نشر مكتبة بصيرتي، قم ١٤٠٦.

٦٠- مجمع البحرين: فخر الدين بن محمد الطريحي، نشر المرتضوي، طهران ١٤١٧.

٦١- المحاسن؛ للشيخ أحمد بن محمد بن خالد البرقي، دار الكتب الاسلامية، قم المقدسة ١٣٧١.

٦٢- مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول؛ للشيخ محمد باقر المجلسي. دار الكتب الإسلامية، طهران ١٤٠٤.

٦٣- مسالك الافهام؛ نشر مؤسسة المعارف الإسلامية ١٤١٣.

٦٤- مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل: حسين بن محمد تقي النوري، نشر مؤسسة آل البيت ﰃ، قم المقدسة ١٤٠٨.

٦٥- مسند أبي يعلى؛ أحمد بن علي التميمي، بيروت ١٤٠٤.

٦٦- مسند أحمد؛ أحمد ابن حنبل، دار صادر، بيروت/ لبنان.

٦٧- مصباح الشريعة؛ ترجمة مصطفوي، منسوب إلى الإمام السادس جعفر ابن محمد الصادق ﰈ.

٦٨- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي؛ أحمد بن محمد الفيومي، نشر مؤسسة دار الهجرة، قم المقدسة ١٤١٤.

٦٩- المغني؛ عبد الله ابن قدامة، نشر دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، بيروت/ لبنان.

٧٠- معجم مقاييس اللغة؛ أحمد بن فارس، نشر مكتب الإعلام الإسلامي، قم المقدسة ١٤٠٤.

٧١- من لا يحضره الفقيه؛ للشيخ الصدوق محمد بن علي بن بابويه القمي، نشر جماعة المدرسين ١٤١٣.

٧٢- مناسك حج عاشقان.

٧٣- مناقب آل أبي طالب ﰃ؛ محمد بن علي إبن شهرآشوب المازندراني، نشر علامة، قم المقدسة ١٤٢١.

٧٤- هفت اورنگ.

٧٥- الوحدة الإسلامية في فكر الإمام الخميني؛ جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، بيروت، لبنان.

٧٦-وحدت از ديدگاه عارف وحكيم؛ الشيخ حسن زاده آملي/ نشر علامة طباطبائي، قم ١٣٦٢.

٧٧-تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة (آل البيت)؛ الشيخ محمد بن حسن الحر العاملي، نشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم المقدسة ١٤٠٩.

الفهرست